بيت المقدس

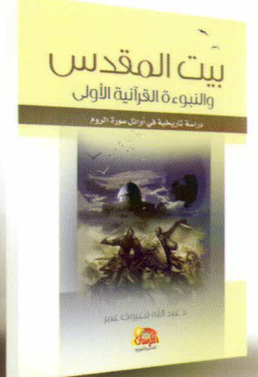
والنبوءة القرآنية الأولى

دراسة تاريخية في أوائل سورة الروم

د عبد الله معروف عمر







بيت المقدس
والنبوءة القرآنية الأولى



مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع
عمان - العبدلي - هاتف 5607386 6 962+
فاكس 5653470 6 962+ خلوي 95208684 7 962+
Email:alfursan111@yahoo.com

ISBN 9789957606633



بيت المقدس
والنبوءة القرآنية الأولى

دراسة تاريخية في أوائل سورة الروم

د. عبدالله معروف عمر

الكتـــــــــاب: بيت المقدس والنبوءة القرآنية الأولى

المؤلـــــــــف: د. عبد الله معروف عمر

التصميم والإخراج: مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع

الإشراف العـــام: م. حســـــن صالـــح



الطبعة الأولى

2016م - 1437هـ

9789957606633 ISBN

رقم الإيداع 4559/09/2015

مؤسسة الفرسان للنشر والتوزيع

Al Fursan Est. For Publishing & Distributing

Jordan - Amman - Abdaly	الأردن - عمان - العبدلي
Tel. +962 6 560 73 87	هاتف: ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٦٠ ٧٣٨٧
Fax. +962 6 565 53 70	فاكس: ٠٠٩٦٢ ٦ ٥٦٥ ٣٤٧٠
PO Box 240664 Amman 11124 Jordan	ص.ب ٢٤٠٦٦٤ عمان ١١١٢٤ الأردن

E-mail: alfursan111@yahoo.com

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على رسول الله محمد بن عبدالله ﷺ، وعلى آله الطيبين الطاهرين وعلى أصحابه الغر الميامين ومن استن بسنته واهتدى بهديه الواضح الجليل إلى يوم الدين.

شهدت سنة ٦١٤م أمراً جللاً هز العالم القديم عندما غزا الجيش الفارسي أراضي الدولة البيزنطية. ومثَّل هذا الغزو تحولاً كبيراً في العالم في ذلك الوقت، إذ أصبحت معظم أراضي الدولة البيزنطية المنهارة تقريباً تحت حكم الدولة الفارسية .

ومن اللافت للنظر أن هذا الحدث ذكر في القرآن الكريم في سورة الروم تحديداً، ولفظ «الروم» هو اللفظ الذي كان يطلقه العرب على البيزنطيين في ذلك الوقت. وتأتي أهمية هذا السورة لا لكونها أخبرت عن حدث تاريخيٍّ هو هزيمة البيزنطيين أمام الفرس فحسب، وإنما لأنها تمثل أيضاً النبوءة القرآنية الأولى في تاريخ الإسلام؛ حيث تنبأت بانتصار البيزنطيين على الفرس في زمن محدد، وهذا يعطي هذه السورة مكانة خاصة في التاريخ الإسلامي بشكل عام وتاريخ بيت المقدس بشكل خاص.

ستركز هذه الدراسة على مقارنة النص القرآني في هذه السورة والأحداث التاريخية التي وقعت في ذلك الوقت، بالإضافة إلى دراسة أهمية هذه السورة في التاريخ الإسلامي بعامة وتاريخ بيت المقدس بخاصة. وتفحص هذه الدراسة موقع بيت المقدس ضمن هذه النبوءة العظيمة التي لها مكانة لعلها تختلف عن غيرها من النبوءات التي تحدث عنها القرآن الكريم أو ذكرها النبي ﷺ،

ذلك أن هذه النبوءة في الحقيقة هي النبوءة الأولى في تاريخ أمة الإسلام، وبالتالي فإن ارتباطها ببيت المقدس جعل لهذه البقعة مكاناً خطيراً في نفوس الصحابة الأوائل، إذ اتجهت إليها الأنظار في ذلك الزمان لتفحص مدى تحقق هذه النبوءة. وهنا تكمن أهمية هذه الدراسة، حيث أن كثيراً من الدراسات الخاصة بعلم التفسير التي تناولت هذه الآيات الكريمة لم تدرس الموضوع من الناحية التاريخية بل اقتصرت على إشارات قليلة على أنها كانت نبوءة وتحققت، وهنا نسعى لدراسة جوانب هذه المسألة بشيء من التفصيل لنكشف عن حقيقتين: عظمة هذا القرآن الكريم ومستوى دقة أسلوبه، ومكانة بيت المقدس الكبرى في الإسلام. والله تعالى نسأل التوفيق والتيسير.

د. عبدالله معروف عمر

الآيات

كانت هزيمة البيزنطيين على يد الفرس[1] أحد الأحداث الرئيسية التي ذُكرت في افتتاحية سورة الروم. وقد خُصِّصت الآيات الخمس الأولى من هذه السورة للحديث عن هذا الحدث، والآيات هي:

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾ [الروم:١-٥].

إن دل ذكر هذه الآيات الكريمة هزيمة البيزنطيين على شيء، فإنما يدل على أهمية المنطقة التي حدثت فيها الهزيمة بالنسبة للمسلمين، كون القرآن الكريم تنزل على النبي محمد ﷺ ابتداءً. وهذا يساعدنا أيضا في تحديد شكل العلاقة بين النبي محمد ﷺ وبيت المقدس، تلك العلاقة التي أدت فيما بعد إلى فتح هذه المنطقة بعد وفاة النبي ﷺ وعليه كان لابد من تحليل هذه الآيات وفهمها جيداً.

مكان النزول

اتفق جمهور علماء علوم القرآن مثل السيوطي (توفي ٩١١هـ/ ١٥٠٥م)[2] والزرقاني (توفي ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٧م)[3] على أن سورة الروم مكية، باستثناء الآية رقم ١٧ التي اختلف فيها[4].

---

(١) للمزيد حول خلفية الحكم البيزنطي لبيت المقدس وبداية هذه الحرب وكيفيتها انظر: عمر، عبدالله معروف. بيت المقدس في استراتيجية النبي ﷺ. بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٤، ص ٢١-٢٧

(٢) السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الفكر، د.ت، ج١، ص١٠

(٣) الزرقاني، محمد عبدالعظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٨، ج١، ص١٦٨

(٤) يروي الألوسي (توفي ١٢٧٠هـ/ ١٨٥٣م) أن الحسن البصري (توفي ١١٠هـ/ ٧٢٨م) قال إن الآية ١٧ من هذه السورة مدنية، =

وبما يعزز ذلك وجود الأحرف المقطعة في بداية هذه السورة؛ فوفقاً لكثير من علماء علوم القرآن مثل القطان (توفي ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م)[١] والزرقاني[٢]، فإن جميع السور التي تبدأ بالأحرف المقطعة مثل ألف لام ميم (ألم) تعتبر مكية، باستثناء سورتي (البقرة) و(آل عمران)[٣]. ومن المعروف بين علماء التفسير أن تحديد نوع السورة بين مكية ومدنية يساعد في فهم أسباب ووقت النزول، وهذه مهمة لأنها مرتبطة بالحدث التاريخي.

القراءات وأسباب النزول

يربط غالبية المفسرين الآيات الأولى من سورة الروم بالحرب بين الفرس والبيزنطيين، وبخاصة الاحتلال الفارسي للشام بما في ذلك بيت المقدس، ولكنهم اختلفوا في تحديد الوقت الدقيق لنزول هذه الآيات،

= إلا أن الألوسي يرى أن قول الحسن البصري يخالف جمهور العلماء ولذلك يرفضه. وسواء كان رأي البصري مقبولاً أم غير مقبول فهو لا يؤثر على جوهر هذه الدراسة كونها تركز على الآيات الخمس الأولى من السورة فقط. انظر الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبدالباري البدوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤، ج١١، ص١٨

(١) القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن. الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠، ص٦٣

(٢) الزرقاني، محمد عبدالعظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مرجع سابق. ج١، ص١٦٧

(٣) يدعي ريتشارد بيل أن هذه السورة نزلت متأخرة في الفترة المدنية. ويبني ادعاءه على أن التعبير القرآني «لله الأمر من قبل ومن بعد» لم يستعمل في الفترة المبكرة من نزول القرآن الكريم، ولذلك استعمل هذا التعبير في المدينة. إلا أنه تجدر الإشارة هنا إلى أن بيل بنى ادعاءه كاملاً على أساس أن قراءة الآيات هي «غَلَبت الروم» بفتح الغين المعجمة وفتح اللام، وهو يعتمد على فرضية صحة هذه القراءة للادعاء بأن السورة كلها نزلت بعد انتصار الروم على الفرس خلال الفترة المدنية. لكن القراءة نفسها التي اعتمد عليها بيل غير صحيحة كما سنبين لاحقاً، ولذلك لا يمكن قبول ادعاء بيل. انظر Bell, Richard. *The Qur'an Translated, with a critical re-arrangement of the Surahs*. EdinburghL T. & T. Clark, 1939, part2, p.392

فعلى الرغم من أن غالبيتهم اتفقوا على ربطها بالحرب بين الفرس والبيزنطيين إلا أنهم اختلفوا في وقت نزولها وظروف النزول .

ويبدو أن أحد الأسباب الرئيسية لهذا الخلافِ اختلافُ القراءة خاصةً في كلمتي «غلبت» و«سيغلبون». فالتغير في نطق هاتين الكلمتين يؤدي إلى تغيير المعنى وقلبه كاملاً. ويقرأ جمهور العلماء هاتين الكلمتين «غُلِبَتْ» بضم الغين المعجمة وكسر اللام (بمعنى هُزِمَتْ)، «سَيَغْلِبُون» بفتح الياء وتسكين الغين المعجمة وكسر اللام (بمعنى سَيَنتَصِرون)، وهذه هي القراءة المشهورة لهاتين الكلمتين في كتب المراجع للقراءات العشرة[1]. يقول ابن الجزري (توفي ٨٨٣هـ/ ١٤٧٨م)[2] إن هناك اختلافات بين القراءات في جميع سور القرآن الكريم، ولكن عندما يتعلق الأمر بسورة الروم فإن الخلاف بين العلماء في القراءة يبدأ من الآية رقم (١٠)، أما الآيات التسع الأولى فقد اتفق القراء على قراءتها. بالإضافة إلى ذلك، يقول الطبري (توفي ٣١٠هـ/ ٩٢٢م) في تفسيره لهذه الآيات وبيان الوجه الصحيح لقراءتها:

والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢﴾ بضم الغين، لإجماع الحجة من القرّاء عليه[3].

(١) إن القراءات العشر المتواترة للقرآن الكريم هي قراءات عاصم، وابن عمرو، والكسائي، وحمزة، وابن عامر، وابن كثير، ونافع، وأبي جعفر المدني، ويعقوب الحضرمي، وخلف بن هشام. انظر القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن. مرجع سابق. ١٧٣

(٢) ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت، ج٢، ص٣٤٥

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩، ج١٠، ص١٦٢

القراءة الأخرى التي ذكرها بعض الرواة لهاتين الكلمتين هي غَلَبَت بفتح الغين المعجمة وفتح اللام (بمعنى انتصرت) وسَيُغْلَبُون بضم الياء وتسكين الغين المعجمة وفتح اللام (بمعنى سيُهزَمون). ومن الواضح أن قراءتها بهذا الشكل يعطي معنىً معاكساً للآيات؛ لأن هذه القراءة تبين أن البيزنطيين قد انتصروا على الفرس وأنهم سيُهزَمون في غضون سنوات قليلة.

وفقا لابن عطية (توفي ٥٤٦هـ/ ١١٥١م)[١] ، فإن عدداً من الصحابة مثل: علي بن أبي طالب (توفي ٤٠هـ/ ٦٦١م) وابن عمر (توفي ٧٣هـ/ ٦٩٢م) وأبي سعيد الخدري (توفي ٧٤هـ/ ٦٩٣م) رضي الله عنهم ، وعدداً من التابعين مثل معاوية بن قرة (توفي ١١٣هـ/ ٧٣١م)، قرأوا الكلمتين بهذه الصورة: غَلَبَت (انتصرت) وسَيُغْلَبُون (سيهزمون). وأضاف إليهم الألوسي[٢] الصحابيين ابن عباس (توفي ٦٨هـ/ ٦٨٨م) والحسن (توفي ١١٠هـ/ ٧٢٨م) رضي الله عنهما. إضافةً إلى ذلك، ينص الترمذي (توفي ٢٧٩هـ/ ٨٩٢م) على أن نصر ابن علي (توفي ٢٥٠هـ/ ٨٦٤م) قرأ هذه الآية غَلَبَت[٣]. إن من الصعب قبول هذه الروايات في الحقيقة، ذلك أن القراءات العشر الأصح التي رويت بأسانيد صحيحة عن عدد كبير من الصحابة والتابعين، ومنهم المذكورون في بعض هذه الروايات اتفقت على قراءة هاتين الكلمتين: غُلِبَتْ، سَيَغْلِبُون .

---

(١) ابن عطية، عبدالحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبدالسلام عبدالشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ج٤، ص٣٢٧

(٢) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. مرجع سابق. ج١١، ص٢١

(٣) انظر الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي Vaduz: Thesaurus Islamicus Foundation، ٢٠٠٠، ج٢، ص٨١٥

هذا الخلاف ينعكس بالضرورة على العلاقة بين السورة والأحداث التي وقعت بين البيزنطيين والفرس في بيت المقدس وما حولها.فبعض المصادر ذكرت أن هذه الآيات نزلت بعد هزيمة الفرس للبيزنطيين في الشام. يقول الواحدي (توفي ٤٦٨هـ/ ١٠٧٦م):

قال المفسرون: بعث كسرى جيشاً إلى الروم واستعمل عليهم رجلاً يسمى شهريران فسار إلى الروم بأهل فارس وظهر عليهم فقتلهم وخرب مدائنهم وقطع زيتونهم وكان قيصر بعث رجلاً يدعى يحنس فالتقى مع شهريران بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب ، فغلبت فارس الروم وبلغ ذلك النبي ﷺ وأصحابه بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي ﷺ يكره أن يظهر الأميون من أهل المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وشمتوا فلقوا أصحاب النبي ﷺ فقالوا: إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرنّ عليكم فأنزل الله -تعالى- ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى آخر الآيات. أخبرنا إسماعيل بن إبراهيم الواعظ قال: أخبرنا محمد بن أحمد بن حامد العطار قال: أخبرنا أحمد بن الحسين ابن عبد الجبار قال: أخبرنا الحرث بن شريح قال: أخبرنا المعتمر بن سليمان عن أبيه عن الأعمش عن عطية العوفي عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر ظهرت الروم على فارس فأعجب المؤمنون بظهور الروم على فارس[1].

(١) الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري. أسباب النزول. القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت، ص١٩٤-١٩٥

هذا النص الذي أدلى به الواحدي يلخص الروايات التي ذكرها العديد من المفسرين. إضافة إلى ذلك، يذكر الطبري أيضا روايات كثيرة لأسباب نزول هذه الآيات[١]. وقد نشرت نادية الشيخ دراسة شاملة لأقوال المفسرين في هذه السورة يمكن الاطلاع عليها[٢]. وبعد النظر في مختلف الأقوال للمفسرين في هذه المسألة فإنه يمكن تلخيص ما اجتمعت عليه المراجع المختلفة حول أسباب نزول هذه السورة في رأيين رئيسيين:

الرأي الأول: هو ما ذكرناه وناقشناه سابقاً للواحدي في كتابه «أسباب النزول»، وهذا الرأي ذكره السيوطي أيضاً[٣]، إضافةً إلى العديد من مصادر التفسير أخرى مثل البقاعي (توفي ٨٨٥هـ/ ١٤٨٠م)[٤] وابن كثير (توفي ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م)[٥]، والرازي (توفي ٦٠٤هـ/ ١٢٠٨م)[٦]، وابن الجوزي (توفي ٥٩٧هـ/ ١٢٠١م)[٧]، والألوسي[٨]، والشوكاني (توفي ١٢٥٠هـ/

(١) انظر الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٠، ص١٦٢-١٦٧

(٢) El Cheikh, Nadia Maria. «Surat al-Rum: A Study of the Exegetical Literature.» *Journal of the American Oriental Society.* 118 (3) (1998): 356-363

(٣) السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. تحقيق: حمزة النشرتي وآخرون. القاهرة: المكتبة القيمة، د.ت، ص٣٣٨-٣٣٩

(٤) البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، ج٥، ص٥٨٣

(٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دمشق: مكتبة دار الفيحاء، ١٩٩٤، ج٣، ص٥٦٠-٥٦١

(٦) الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ج١٣، ص٨٤

(٧) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧، ج٦، ص١٨٦-١٨٧

(٨) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. مرجع سابق. ج١١، ص٢٠

١٨٣٥م)[١]، والسيوطي[٢]، والمراغي (توفي ١٩٦٤م)[٣]. وفيما يتعلق بالرأي الثاني، فقد ذكره السيوطي نقلاً عن الترمذي. وتنص رواية الترمذي على ما يلي:[٤]

عن أبي سعيد قال لما كان يوم بدر[٥] ظهرت الروم على فارس فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت (ألم غَلَبت الروم) إلى قوله: (يفرح المؤمنون بنصر الله)، قال: ففرح المؤمنون بظهور الروم على فارس، قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، كذا قرأ نصر بن علي: (غَلَبت الروم)[٦].

---

(١) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير. بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٠، ص١٣٥٦-١٣٥٧

(٢) السيوطي، جلال الدين. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ج٥، ص٢٨٩-٢٩٠

(٣) المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤، ج٧، ص٢٧

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. مرجع سابق، ج٢، ص٨١٥

(٥) المقصود يوم غزوة بدر الكبرى بين المسلمين ومشركي قريش، وقعت عند آبار بدر بين مكة والمدينة في رمضان عام ٢هـ/ ٦٢٤م. انظر العلي، إبراهيم. صحيح السيرة النبوية. عمان: دار النفائس، ٢٠٠٢، ص٢١٨

(٦) إن هذه الرواية شديدة الإشكال، علماً بأن الألباني (توفي ١٩٩٩م) اعتبرها بمنزلة الصحيح بما بعده (انظر الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٢، ج٣، ص٢٩٩)، لكن الرواية التي تلي هذه الرواية عند الترمذي لا تذكر يوم بدر، وهي تعتبر صحيحة بذاتها كما يقول الألباني (المرجع السابق ص ٢٩٩-٣٠٠)، إن معنى عبارة الألباني «صحيح بما بعده» يقتضي أن تكون الرواية الأولى بمرتبة الحديث الحسن بذاته ورفعها لدرجة الصحة باعتضادها بالرواية الصحيحة التي تلتها، وذلك كما يبدو بسبب تشابه نص الروايتين إلى حد بعيد. ولكن هذا الاعتبار غير مقبول، حيث يبدو أن الألباني بنى حجته على خطأ في قراءة الرواية الأولى حيث قرأها كما يبدو «فأعجب ذلك المؤمنين فنزلت (ألم غُلِبت الروم)» بضم الغين المعجمة وكسر اللام، ويدل على ذلك أن العبارة المذكورة في كتاب الألباني مشكولة على هذا النحو «غُلِبت» بضم الغين المعجمة وكسر اللام، مما يدل على أن الألباني قرأها كذلك عند مراجعته للرواية. لكن الرواية الأصلية للترمذي لم تكن كذلك وإنما كانت تنص على كلمة «غَلَبت» بفتح الغين المعجمة وفتح اللام، =

هذا الرأي ذكره الزحيلي[1] أيضاً[2]. ولكن رأي الزحيلي مثير للجدل للغاية؛ حيث أنه يتفق مع العلماء الذين يقرأون الآيات بالقراءة المعروفة في القراءات العشر (غُلِبَتْ) أي (هُزِمَت)، ولكنه في نفس الوقت يذكر رواية الترمذي (والتي تعتمد على قراءة غَلَبَتْ أي انتصرت) بوصفها السبب في نزول هذه السورة. ومن الصعب فهم موقف الزحيلي وتوفيقه مع التناقض الواضح بين رواية الترمذي والقراءة المشهورة للآيات في القراءات العشر المتواترة هنا، إلا أن يقال إن السورة نزلت عندما انتصر الروم على الفرس في وقت غزوة بدر (كما تذكر رواية الترمذي)، ولكنها عبَّرت عن نصر الروم على الفرس بالهزيمة فقالت إن الروم هُزِمَت ولم تنتصر. ومن الصعب فهم رأي الزحيلي إلا إذا افترضنا أن الزحيلي افترض أن القرآن نزل بعد انتصار الروم على الفرس ليخبر

= وعند مراجعة نسخ مختلفة من كتاب الترمذي تم التأكد من أن نص الترمذي الأصلي هو «غَلَبت» بفتح الغين المعجمة وفتح اللام لا كما ورد عند الألباني. ويبدو واضحاً أن الألباني لم يتنبه إلى اختلاف التشكيل في رواية الترمذي فعمل على تحقيق السند فقط، والذي لا يصل إلى درجة الصحة كما بين الألباني. وربما لو كان الألباني قد محص المتن أكثر وتنبه إلى خطأ النقل لكان له رأي آخر في هذه الرواية، وذلك من حيث معرفة أن هذه الرواية تخالف القراءات العشر المتواترة وتخالف إجماع العلماء على أن الآيات نزلت في مكة لا المدينة، والمعروف كما سيأتي لاحقاً أن انتصار الروم على الفرس حدث في الفترة المدنية لا المكية.

(١) الزحيلي، وهبة. تفسير الوسيط. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١، ج٣، ص١٩٨٣

(٢) تضيف نادية الشيخ اسم الزمخشري (توفي ٥٢٨هـ/ ١١٣٤م) إلى المفسرين القائلين إن قراءة هذه الآية هي «غَلَبت» بفتح الغين المعجمة وفتح اللام، لكن الصواب أن الزمخشري يذكر الروايتين دون أن يقف مع أي منهما.

انظر El Cheikh, Nadia Maria. «Surat al-Rum: A Study of the Exegetical (Literature.» *Journal of the American Oriental Society*. Ibid., p.361

وكذلك انظر الزمخشري، جارالله محمود بن عمر. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل. تحقيق: محمد شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، ج٣، ص٤٥١-٤٥٢

المسلمين أن البيزنطيين «هُزِموا» ولم ينتصروا كأنها إشارة إلى أن نصرهم على الفرس ليس حقيقياً أو أنهم سيهزمون على يد المسلمين في المستقبل.والقرآن الكريم في هذه الحالة يعبر عن الهزيمة بالفعل الماضي للتأكيد على أن ذلك سيحدث، وبعبارة أخرى، كما لو كان قد حدث بالفعل، وفي ذلك اليوم ينبغي للمسلمين أن يبتهجوا.

وهنا ينبغي القول إن حجة الزحيلي غير مقبولة، فمن غير الدقيق أن يسمع المسلمون نبأ انتصار البيزنطيين على الفرس، ثم ينزل القرآن الكريم في الوقت نفسه ليقول إن البيزنطيين هُزِموا. ومن ناحية أخرى، حتى لو كان الفهم الذي ذكرنا آنفاً لرأي الزحيلي حقاً، فإن حجته لا تزال غير مقبولة، لأنه ينأى بمعنى النص بعيداً عن لفظ النص الفعلي، ولا يعدو ذلك كونه لياً لعنق النص للتوفيق بينه وبين رواية الترمذي. فالنص واضح؛ حيث يروي حدثاً تاريخياً حصل فعلاً في مكان وزمان محددين. ولذلك فإن تغيير تسلسل النص القرآني من دون دليل واضح أمرٌ غير مقبول.

إن الرأي الذي يعتمد على قصة معركة بدر هو إشكالية بحد ذاته، لأنه في الواقع يتناقض مع المسألة الأولى التي قرَّرناها في هذه الدراسة؛وهي أن جميع علماء التفسير وعلوم القرآن اتفقوا على أن السورة مكية (أي أنها نزلت قبل الهجرة إلى المدينة). وإنما كان الخلاف في الآية السابعة عشرة من السورة فقط، لا هذه الآيات. وكون هذه السورة مكية يستبعد رواية الترمذي في أسباب نزولها.

ومن الجدير بالذكر أن الترمذي ذكر الروايات الأخرى التي تفيد نزول هذه السورة بعد انتصار الفرس على الروم دون ذكر غزوة بدر[1]. وهذا يؤكد على أن اعتبار غزوة بدر سبباً لنزول هذه السورة أمر غير صحيح.

---

(١) انظر الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. مرجع سابق، ج٢، ص٨١٥-٨١٧

وبناء على ما تقدم، فإن قراءة الآيات بالشكل الذي اتفق عليه جمهور المفسرين والقراء وهو (غُلِبَتْ) هو الأصح، لا قراءة (غَلَبَتْ). ومن الغريب جداً أن يذكر الترمذي رواية (غَلَبَتْ) في فصل آخر من سننه هو «كتاب القراءات»، خاصة أن هذه الرواية غير مقبولة في القراءات العشر المتواترة كما بينا آنفاً.

مكان انتصار الفرس « أدنى الأرض »

يحدد القرآن المكان الذي هزم فيه الفرس البيزنطيين بأنه «أدنى الأرض»، ولفظ «أدنى» هنا يحتمل معاني مختلفة اعتماداً على جذورها في اللغة العربية. يذكر ابن منظور (توفي ٧١١هـ/ ١٣١٢م) جذرين مختلفين لهذه الكلمة في اللغة العربية: الأول (دنأ) بمعنى خفض، والثاني (دنا) بمعنى قرب[١].

من الجدير هنا ملاحظة أن ابن منظور استخدم لفظا قرآنياً مطابقاً للفظ الذي ورد في سورة الروم مثالًا للمعنى الأول (أي الانخفاض والدونية)؛ والمثال الذي استعمله ابن منظور كان الآية رقم(٦١) من سورة البقرة «أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير»، ولفظ «أدنى» المستعمل في هذه الآية يعني «أقل». ومن المثير للاهتمام أن ابن منظور استخدم الآية نفسها مثالا للمعنى آخر أيضاً حيث يقول:

وقال الزجاج في معنى قوله (أَتستبدلون الذي هو أَدْنى) غير مَهْموز: أَي أَقْرَبُ، ومعنى أَقْرَبُ أَقلُّ قيمةً[٢].

هذا يدل على أن مصطلح أدنى يحتمل المعنيين (أقل) و (أقرب)، ولكن يجب أن نلاحظ أن ابن منظور اقتبس هذه النقطة من الزجّاج، ويبدو أن ابن منظور كان مخالفاً في رأيه للزجاج، فهو يرى أن «أدنى» تعني «أقل»،

(١) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. تحقيق: أمين عبدالوهاب ومحمد العبيدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩، ج٤، ص٤١٩-٤٢٠

(٢) المرجع السابق ص٤١٥

ويبدو أن ابن منظور ذكر رأي الزجاج بوصفه مجرد رواية لمعنى هذه الكلمة عن أحد العلماء، لا بوصفه رأيه هو لأنه قرن بين مفهوم القرب والدونية عند تعليقه على رأي الزجاج.

يرى كثير من المفسرين أن معنى عبارة «أدنى الأرض» هو «الأقرب من الأرض»[1]. ولكنهم يختلفون في تحديد أي أرض أقرب إلى ماذا بالضبط. بعض العلماء مثل الشوكاني[2] والقرطبي (توفي ٦٧١هـ/ ١٢٧٣م)[3] لم يحددوا مكاناً بعينه، ولكنهم ذكروا ثلاثة احتمالات لهذا المكان: أذرعات[4]، والجزيرة الفراتية[5]، وكسكر[6] (وهذا الاسم مذكور لدى القرطبي فقط)، والأردن وفلسطين معاً (انظر الخريطة (١)).

---

(١) انظر على سبيل المثال الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٠، ص١٦٧، والبقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. مرجع سابق. ج٥، ص١٩٩٥، وابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير. مرجع سابق. ج٦، ص٢٨٨

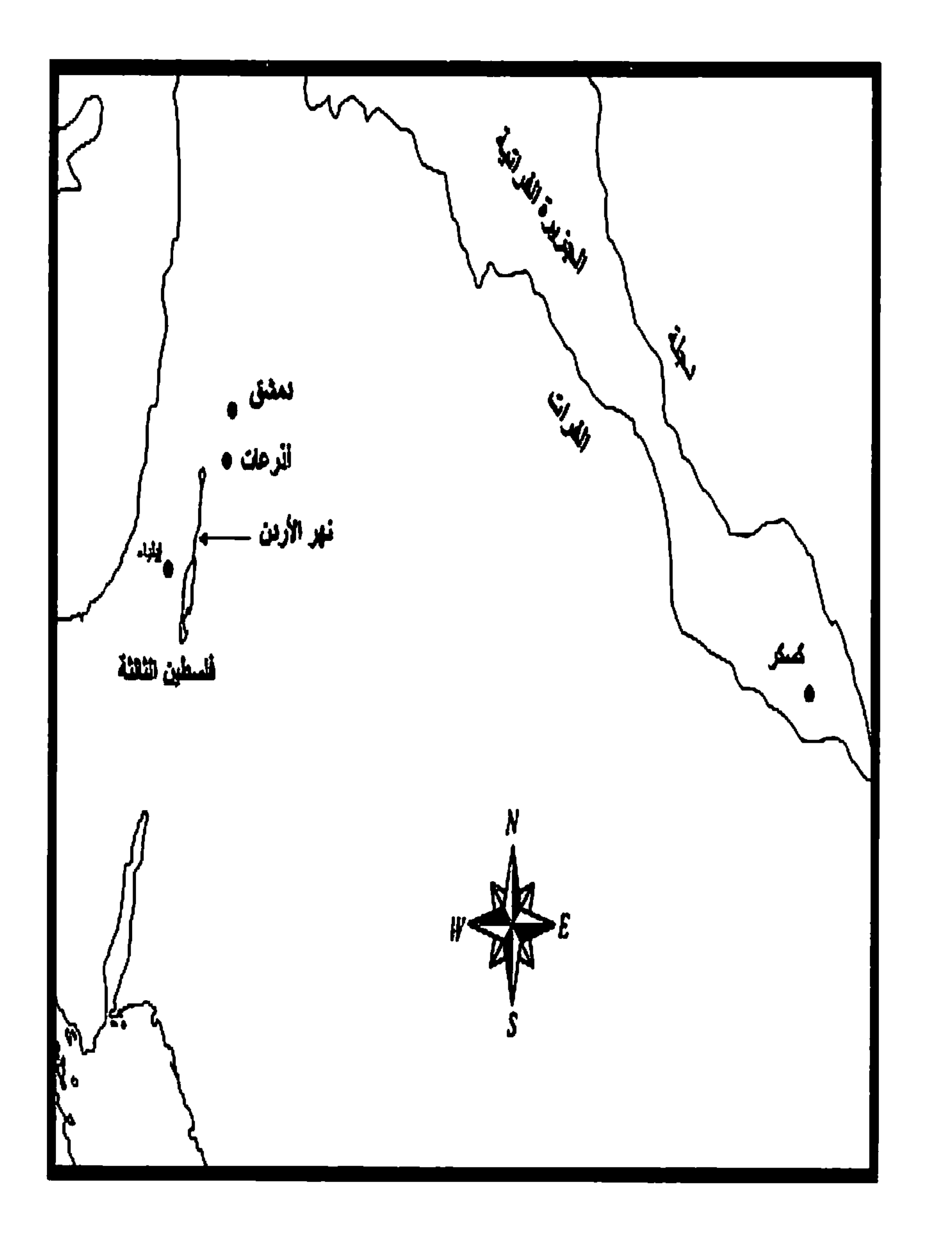
(٢) الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير. مرجع سابق. ص١٣٥٧

(٣) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: صادق محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨، ج١٤، ص٦

(٤) يذكر ياقوت الحموي (توفي ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) أن أذرعات تقع على حدود الشام قرب عمان والبلقاء (انظر الحموي، ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان. تحقيق: فريد الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠، ج١، ص١٥٨). وهي معروفة اليوم باسم «درعا» في الجمهورية العربية السورية قرب الحدود الأردنية السورية كما تذكر موسوعة الإسلام. انظر Elisséeff, F. Buhl-N. 'Adhri'āt', in *Encyclopaedia of Islam* ed. H. A. R. Gibb and others. Leiden: E. J. Brill, 1986, Part1, p.194

(٥) لفظ «الجزيرة» كان الاسم المتعارف عليه للمنطقة بين نهري دجلة والفرات شمال شرقي الشام. انظر الحموي، ياقوت ابن عبدالله. معجم البلدان. مرجع سابق. ج٢، ص١٥٦

(٦) كسكر محافظة كانت تقع جنوب العراق، عاصمتها واسط بين الكوفة والبصرة. انظر المرجع سابق ج٤، ص٥٢٣



الخريطة رقم (١) : تبين مواقع الآراء المختلفة للعلماء حول المقصود بلفظ «أدنى الأرض»

يذكر الطبري آراء مختلفة أخرى[1]، ولكنها جميعاً تقع في منطقة الشام أو على أطراف الشام، أما ابن عطية فقد ذكر رأيين: الأردن والجزيرة ولم يرجح بينهما[2]، فيما قال آخرون مثل ابن الجوزي[3] والقاسمي (توفي ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م)[4] إن المكان المقصود في الآية هو أطراف الشام. أما ابن كثير[5] والألوسي[6] فقد نصا على أن المكان هو أذرعات، في حين رأى الزحيلي[7] أنه الجزيرة الفراتية بين العراق والشام. ويرى المراغي[8] أن هذا المكان كان بين الأردن وفلسطين.

من المهم هنا الإشارة إلى أن عالم الجيولوجيا المصري زغلول النجار قام ببعض الأبحاث الجيولوجية لتحديد الموقع المذكور معتمداً على كلمة «أدنى». حيث وصل إلى نتيجة تقول إن «أدنى الأرض» في هذه الآية تعني «أخفض نقطة على سطح الأرض»، والتي هي -بناء على رأيه- منطقة وادي الأردن الذي يقع اليوم بين الأردن وفلسطين، ويعتمد في ذلك على أن وادي الأردن هو «أدنى» أي «أخفض» بقعة على سطح الأرض[9].

---

(١) الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٠، ص١٦٢-١٦٧

(٢) ابن عطية، عبدالحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق. ج٤، ص٣٢٧

(٣) ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير. مرجع سابق. ج٦، ص٢٨٨

(٤) القاسمي، محمد جمال الدين. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل. تحقيق: أحمد بن علي وعلي حامد صبح. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣، ج٧، ص٥٨٨

(٥) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق. ج٣، ص٥٦٢

(٦) الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. مرجع سابق. ج١١، ص١٩

(٧) الزحيلي، وهبة. تفسير الوسيط. مرجع سابق. ج٣، ص١٩٨٣

(٨) المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. مرجع سابق. ج٧، ص٢٨

(٩) انظر الموقع الرسمي للدكتور زغلول النجار، تاريخ المشاهدة: ٢٦/ ٦/ ٢٠٠٦.
http://www.elnaggarzr.com/Test_fre/Index.asp?Prv=2&Data=535&id=1

أما فيما يتعلق بالمصادر غير العربية، فتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ ثيوفانيس (توفي ٨١٧م)[١] من جهة، وكتاب (قصص الفصح) الذي ألفته لجنة تاريخية في القسطنطينية في القرن السابع الميلادي[٢] من جهة أخرى، لم يشيرا إلى تحديد موقع المعركة التي مثلت الانتصار الكبير للفرس على البيزنطيين على وجه الخصوص، وإنما أشاروا إلى الاحتلال الفارسي للمنطقة بأسرها في ذلك الوقت، دون الإشارة إلى معارك محددة. وهذا يعوق مهمة تحديد موقع المعركة التي وقعت في تلك المنطقة. بل لعله من الأصعب الجزم أن هناك معركة حصلت على هذه الأرض، أو حتى الجزم أن المنطقة التي قصدها القرآن في سورة الروم هي بيت المقدس، فليس هناك دلائل تاريخية في هذه النصوص تحدد بيت المقدس بالذات.

لدى النظر في المصادر التاريخية غير العربية في تلك الفترة يتبين أن الفرس هاجموا (الرها) وجميع المناطق المحيطة بها، ثم بدأوا يتحركون جنوباً[٣]. وقد بدأ هذا في العام ٦٠٤م أي قبل بعثة النبي محمد ﷺ. إن السياق القرآني في سورة الروم وكونها من السور المبكرة النزول عموماً يبين أن المعركة التي دارت بين الفرس والبيزنطيين حدثت في السنوات الأولى من البعثة النبوية في مكة المكرمة . وفي الوقت نفسه، تجدر الإشارة إلى أن سورة الروم كانت أول وحي يذكر هذه الحرب. وهذا يدل على أن سبب نزول هذه الآيات كان التعليق على هزيمة البيزنطيين، فالقرآن اعتبر هزيمة البيزنطيين أمراً مهماً، وذلك لأن القرآن -من وجهة نظر المسلمين- لا يعلق على حدث دون أن يكون له تأثير مهم وواضح على المسلمين.

---

(١) Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. ed. Cyril Mango and Roger Scott. New York: Oxford University Press Inc., 1997, p.430-432

(٢) Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD.* Liverpool: Liverpool University Press, 1989, p.156

(٣) انظر Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p. 418-421

إنَّ الفهم المتسلسل للأحداث يدل على أن سبب نزول هذه الآيات لم يكن مجرد الإشارة إلى هزيمة البيزنطيين دون أن يكون لذلك علاقة مباشرة بالمسلمين، بل كان التعليق على هذه الأحداث توضيحاً وتأكيداً لأهمية هذه الهزيمة بالنسبة للمسلمين، وهذا لا يتم فهمه بشكل كامل وصحيح ما لم يربط حدث انتصار الفرس وهزيمة البيزنطيين ببيت المقدس تحديداً، ذلك أن منطقة بيت المقدس ليست مجرد جزءٍ من الشام، بل هي أهم ما في الشام من الناحية الدينية بالنسبة للمسلمين. ولذلك، يبدو أن انتصار الفرس على البيزنطيين اعتُبِر حدثاً مهماً نظراً للأهمية الدينية للمنطقة التي وقع فيها هذا الحدث، سواء بالنسبة للمسلمين أو غيرهم. ولما كان لبيت المقدس أهمية روحية ودينية كبيرة لدى النصارى فقد ذكر هذا الحدث في المصادر النصرانية. كما أن أهمية المكان بالنسبة للمسلمين أدى إلى ذكرها في المصادر الإسلامية.

هذا يثير سؤالاً حول المكان الحقيقي للأحداث التي يذكرها القرآن الكريم، فمن الواضح أن الأهمية الدينية للمنطقة أدت ابتداءً إلى اعتبارها الموضع المقصود في النص القرآني، ولكن ينبغي هنا ربط النص الديني مع الوقائع التاريخية المذكورة في كتب التاريخ ليتم تبين وجود هذا الرابط من عدمه.

من الجدير بالملاحظة أن ثيوفانيس يذكر أن الفرس كانوا قد غزوا دمشق سنة ٦١٣م[١]، وذلك قبل غزو بيت المقدس الذي حدث عام ٦١٤م وفقاً لكل من ثيوفانيس[٢] وكتاب قصص الفصح[٣]. أما القرآن الكريم فلم يذكر شيئا عن احتلال دمشق. ويمكن ملاحظة هذا الأمر في آراء المفسرين حول مكان المعركة التي شهدت هزيمة البيزنطيين، فمعظم هذه الآراء حدد المناطق والبلدات الواقعة إلى الجنوب من دمشق، باستثناء الجزيرة الفراتية الواقعة شمال شرق دمشق. ومن خلال تحليل حركة الفرس من الشمال إلى الجنوب،

---

(١) Ibid., p. 430

(٢) Ibid., p. 431

(٣) Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD.* Ibid., p. 156

يمكن للمرء أن يخلص إلى أن المعركة التي ذكرها غالبية علماء المسلمين وقعت في الواقع إلى الجنوب من دمشق أي بعد سنة ٦١٣م.

نزل القرآن للتعليق على معركة واحدة محددة أدت إلى تغيير جذري في المنطقة. وتجدر الإشارة إلى أن المصادر النصرانية المتاحة ذكرت الاحتلال الفارسي لبيت المقدس على وجه الخصوص باعتباره حدثاً ذا أهمية كبيرة. وبالرغم من أن الجزيرة الفراتية تعتبر منطقة استراتيجية مهمة، فإن الاهتمام القرآني بهذه الأحداث يدل على أن المعركة وقعت في مكان يحمل أهمية دينية كبيرة بوصف القرآن الكريم كتاباً دينيًا أساساً. كما أن الإشارة إلى هذا الحدث في المصادر النصرانية يعبر عن الاهتمام الكبير بالغزو الفارسي للقدس أكثر من أي مدينة أو منطقة أخرى. وبالتالي، فإن هذا يدل على أن الجزيرة الفراتية على الأرجح لم تكن المنطقة المقصودة في النص القرآني. فمن غير المرجح أن يذكر القرآن معركة في منطقة الجزيرة ويترك موقعاً ذا أهمية دينية عظيمة وأثرٍ كبير على سير الأحداث، أي بيت المقدس. وهنا تجدر الإشارة إلى أن غزو بيت المقدس اعتبر النقطة الأبرز في تاريخ الحروب الفارسية البيزنطية وفقاً للمصادر النصرانية.

احتل الفرس مصر في العام التالي (٦١٥م) وفقا لما قال ثيوفانيس[(١)]، مما يدل على أن حركة الجيش الفارسي في ذلك الوقت كانت نحو الجنوب الغربي. وهذا يترك احتمالاً واحداً لمنطقة المعركة المذكورة في القرآن، وهي المنطقة الواقعة بين أذرعات ونهر الأردن وفلسطين ، أي نحو الجنوب الغربي من الشام.

تجدر الإشارة إلى عدم وجود أدلة مادية واضحة علي أن منطقة أذرعات والأردن وفلسطين هي المكان الذي أشار إليه القرآن حقًا. والعامل الوحيد الذي قد يرجح أحد الآراء سيعتمد أساساً على الأحداث التاريخية التي تلت ذلك (أي احتلال الفرس لمصر)، بالإضافة إلى مكانة بيت المقدس عند

---

(١) Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p.432

المسلمين وأثره على إعطاء أهمية لأي حدثٍ حصلَ فيها إلى درجة نزول آيات من القرآن الكريم للتعليق عليه.

لمعرفة الأحداث التي توجها الفرس باحتلال القدس يمكن الرجوع إلى رواية شاهد عيان هو ستراتيجوس، وهو كاهن نصراني من سكان القدس، وشاهد عيان كان موجوداً عند دخول الفرس إلى المدينة، ثم كتب شهادته ووصلتنا، حيث يقول في وصف الطريق الذي سلكه الفرس من الشام حتى الوصول إلى بيت المقدس:

استولوا -أي الفرس- على كل أرض سورية، وأجبروا الروم على الهرب وأسروا كثيراً منهم. وبعد ذلك بدأوا بالدخول بجيش عرمرم إلى كل مدينة وقرية. ثم وصلوا إلى فلسطين وحدودِها، ووصلوا إلى قيسارية، وهي العاصمة، ولكنهم هناك توسلوا للهدنة، واحنوا أعناقهم في استسلام. بعد ذلك تقدم العدو إلى منطقة سارابيون (أي أرسوف)، واستولى عليها وعلى جميع مدن الساحل. ثم وصلوا منطقة اليهودية (أي صحراء الضفة الغربية)، وجاءوا إلى مدينةٍ كبيرةٍ معروفةٍ، مدينةٍ نصرانيةٍ، تلك هي القدس(١).

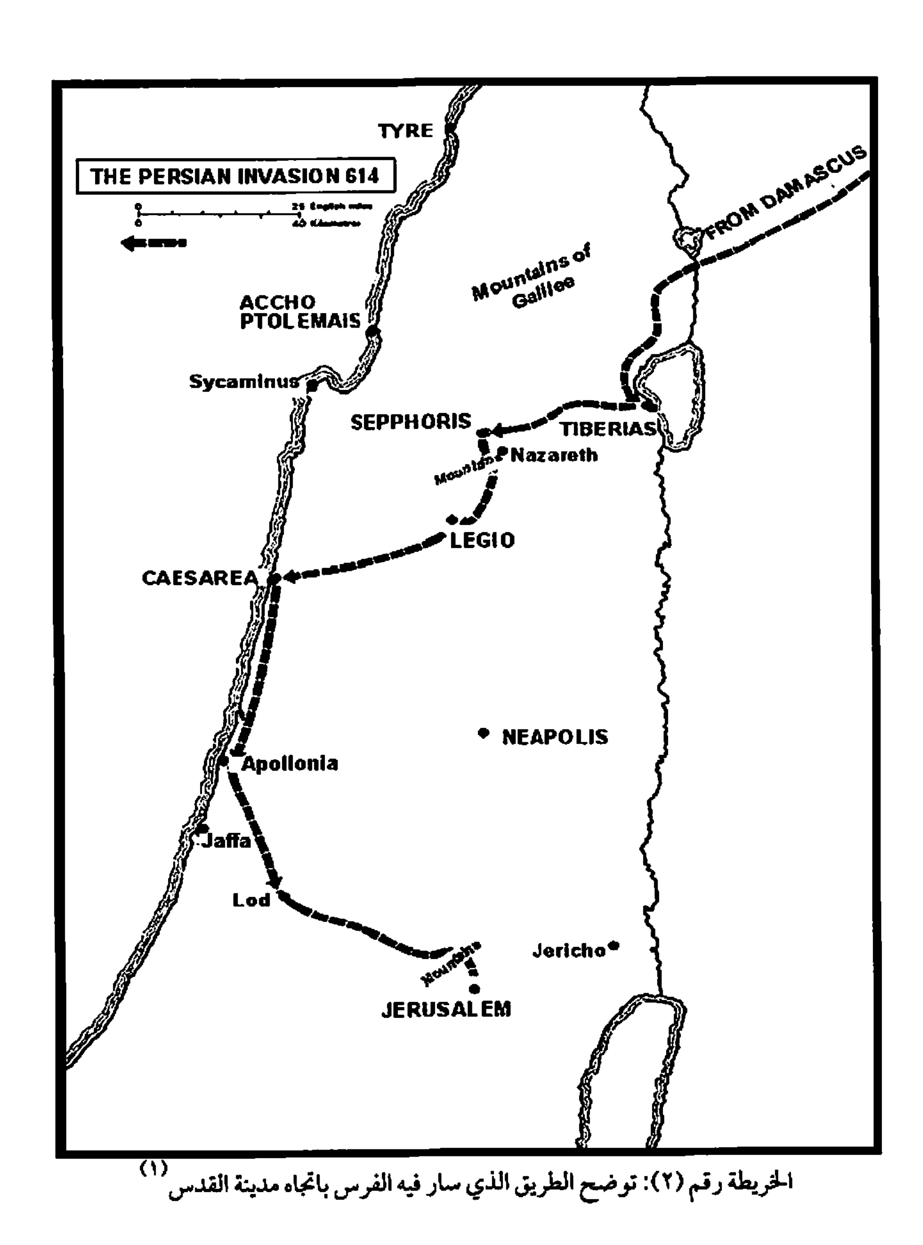
كانت حركة جيش الفرس نحو الجنوب الغربي. ويذكر ستراتيجوس أنهم دخلوا فلسطين بعد الاستيلاء على سوريا (الشام). ويبدو أن ستراتيجوس يقصد بفلسطين المنطقةَ التي كانت تسمى في ذلك الوقت «فلسطين الأولى»، وحدود هذه المنطقة هي تقريباً نفس حدود منطقة إيلياء كما أوضح خالد العويسي(٢).

(١) Conybear, Frederick C. «Antiochus Strategos' Account of the Sack of Jerusalem in A.D. 614.» *The English Historical Review*. 25 (99) (1910): 503

(٢) El-Awaisi, Khalid. *Mapping Islamicjerusalem, a Rediscovery of Geographical Boundaries*. Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press; 2007, p.113

وعلى الرغم من أن منطقة «فلسطين الثانية»[1] كانت على الطريق بين دمشق وفلسطين الأولى من خلال أذرعات، إلا أن ستراتيجوس لا يعني «فلسطين الثانية» حين يتحدث عن فلسطين، وإنما يعني «فلسطين الأولى».ويدل على ذلك ذكره قيسارية باعتبارها عاصمةَ فلسطين وأول مدينةٍ وصلها الفرس. وقيسارية كانت تقع في فلسطين الأولى قرب الحدود الشمالية الغربية مع فلسطين الثانية. وهذا يبين أنه تحدث بصفة رئيسية عن فلسطين الأولى، أي منطقة إيلياء. وفقاً لوصف ستراتيجوس:استولى الفرس على دمشق، ثم ساروا إلى الجنوب ومروا بأذرعات، ثم أكملوا سيرهم باتجاه الجنوب الغربي على طول نهر اليرموك جنوباً في الجزء الشمالي من وادي الأردن واتجهوا إلى الجنوب الغربي حيث قيسارية على الساحل، إلا أنهم لم يتمكنوا من أخذها.لذلك توجهوا جنوباً واستولوا على الساحل مع أرسوف، ثم اتجهوا مباشرة إلى مدينة القدس ووصلوها من الجانب الشمالي الغربي أو من الغرب كما توضح الخريطة التالية.

(١) انظر Avi-Yonah, Michael. *The Holy Land A Historical Geaography from the Persian to the Arab Conquest 536 B.C. to A.D. 640*. ed. Anson F. Rainey. Jerusalem: Carta, 2002, p.125



الخريطة رقم (٢): توضح الطريق الذي سار فيه الفرس باتجاه مدينة القدس (١)

(١) Avi-Yonah, Michael. *The Jews of Palestine: A Political History from the Bar Kokhba War to the Arab Conquest*. Oxford: Basel Blackwell, 1976, p. 264

وفقاً لهذا التحليل، فإن هزيمة البيزنطيين وقعت إما في أذرعات أو في الجزء الشمالي من وادي الأردن؛ لأن الفرس كانوا أحراراً في التحرك نحو الساحل ومن ثم إلى مدينة القدس. إلا أن هذا لا يمكن قبوله، لأن ستراتيجوس يذكر أن الفرس كانوا يواجهون مقاومة قوية في قيسارية هزمتهم إلى أن انتهوا إلى هدنة مع قيسارية[١]. وبعبارة أخرى، فإن البيزنطيين في قيسارية هزموا الفرس، بينما يدل التعبير القرآني على أن الفرس كانوا في قمة انتصارهم بعد هزيمة البيزنطيين في المعركة التي يذكرها القرآن الكريم ولم يهزموا حتى الوقت الذي حدده القرآن الكريم لتمام النبوءة القرآنية ببضع سنين. وهذا يعني أن الرأي القائل إن المنطقة المذكورة في القرآن بلفظ «أدنى الأرض» هي أذرعات غير دقيق.

كما ذكرنا سابقاً، فإن زغلول النجار يرى أن التعبير القرآني «أدنى الأرض» يعني «أخفض بقعة من الأرض»، أي أن هزيمة البيزنطيين وقعت -بناء على هذا الرأي- قرب البحر الميت في -أو بالقرب من- مدينة أريحا التي تقع إلى الشمال الشرقي من مدينة القدس. لكن وفقاً لوصف ستراتيجوس، لم يصل الفرسُ القدسَ أصلاً من الشرق، بل وصلوا من الجانب الغربي. وعلاوة على ذلك، فإنه يبدو أن أريحا لم تكن في حسبان الفرس ابتداءً أو ربما لم تكن ذات أهمية كبيرة لدى الفرس؛حيث يذكر ستراتيجوس أن الفرس -عندما وصلوا إلى مدينة القدس وقبل حصارها- تفاوضوا مع زكريا بطريرك القدس للتوصل إلى اتفاق لتسليم المدينة، إلا أن نبأ المفاوضات وصل إلى القادة السياسيين في المدينة، فرفضوا ذلك ومنعوا البطريرك من تسليم المدينة. ولذلك، أرسل البطريرك كاهناً يدعى أباموديستوس -وكان هذا رئيس دير القديس ثيودوسيوس- إلى أريحا، وأمره بأن يقود القوات البيزنطية هناك

---

(١) Conybear, Frederick C. «Antiochus Strategos' Account of the Sack of Jerusalem in A.D. 614.». Ibid., p.503

ويهاجم بهم الفرس. هذا يدل على أن أريحا في ذلك الوقت لم تكن محتلة من قبل الفرس، وكانت القوات البيزنطية موجودة فيها[١]. وهنا يبقى السؤال: لماذا يذكر القرآن مصطلح «أدنى الأرض» في هذا السياق؟

يذكر ستراتيجوس حادثة معينة من الواضح أنها كانت آخر اشتباك عسكري بين الفرس والبيزنطيين قبل أن يسيطر الفرس بشكل كامل على بيت المقدس، فيقول إن أباموديستوس ذهب إلى أريحا، وقاد القوات البيزنطية بينما أبلغ البطريرك في القدس الفرسَ برفض عرض معاهدة تسليم المدينة. فأرسل الفرس جيشاً نحو أريحا وهاجم البيزنطيين في منطقة قريبة منها ففر الجيش البيزنطي عندما هاجمه جيش الفرس الكبير. وحاصر الفرس أباموديستوس قائدَ الجيش البيزنطي، ولكنه تمكن من الفرار إلى داخل أريحا[٢]، ثم هاجم الفرس مدينة القدس[٣].

مثل هذا الحدث الانهيار النهائي للسلطة البيزنطية في بيت المقدس. وأدى إلى سيطرة الفرس بشكل كامل على بيت المقدس. يقول ستراتيجوس في وصف تأثير هذا الحدث على الناس في مدينة القدس:

---

(١) Ibid., p.504-506

(٢) Ibid., p.506

(٣) لا يذكر ستراتيجوس لفظ «معركة» في روايته، ولكنه يصف مشهداً على الأرض حيث حوصر أباموديستوس فوق صخرة وأحاط به جنود الفرس، ولكنه استطاع أن ينجو من هذا الموقف بأعجوبة ويصل إلى أريحا بسلام. هذا المشهد يدل على أن اشتباكاً وقع في الحقيقة بين القوات البيزنطية والفارسية. ولكن يبدو أن الروح المعنوية الضعيفة للجنود البيزنطيين لعبت دوراً كبيراً في هزيمتهم السريعة في هذا الاشتباك. إضافة إلى ذلك، ينبغي ملاحظة أن القرآن الكريم لا يذكر صراحة لفظ «معركة»، مما يدل على أن هزيمة الروم المذكورة في القرآن الكريم كانت أقرب إلى فرار سريع منه إلى معركة حقيقية احتاجت إلى جهد قتالي من الفرس.

ولكن سكان المدينة [القدس] انهاروا عندما علموا رحيل اليونانيين [البيزنطيين]، وأنه لم يعد لديهم أي أمل بالمساندة من أي مكان. ثم إن الفرس علموا أن الله قد تخلى عن النصارى، وأنه لم يكن لديهم من يساعدهم[1].

وبناء على ذلك، يمكن استنتاج أن الحدث الذي جاء في القرآن، أي هزيمة البيزنطيين، كان يقصد به على الأرجح الحادثة الأخيرة التي وقعت بين أريحا والقدس. وبالتالي فهذه المنطقة على الأرجح هي «أدنى الأرض» التي ذكرت في الآية الكريمة من سورة الروم. ولمزيد من التوضيح نشير مرة أخرى إلى التعبير القرآني «أدنى»، والذي يعني -كما ذكرنا سابقاً- «الأقرب» و«الأخفض».

لدى دراسة أقوال المفسرين في المقصود بـ«أدنى الأرض»، اتفق معظمهم على معنى واحد وهو «الأقرب»، واعتمدوا على هذا المعنى ليقولوا إن المنطقة المقصودة في القرآن الكريم هي أذرعات. وذلك بناءً على أن أذرعات هي الأقرب إلى شبه الجزيرة العربية ضمن منطقة الشام. لكن هذا ليس صحيحا لأن أغلب المنطقة الواقعة جنوب أذرعات تُعَدُّ جزءاً من الشام، بما في ذلك البلقاء[2]. وبالتالي، فإن أذرعات لا تُعَدُّ أقرب بقعة في الشام إلى الجزيرة العربية.

كما أن هذا الرأي يتجاهل حقيقة أن كلمة «أدنى» لها معنى آخر قوي الدلالة، وهو «أخفض» أو «أقل»، وإذا ما أخذ هذا المعنى بعين الاعتبار فإنه لا ينطبق على أذرعات، ولكن يمكن تطبيقه على المنطقة الواقعة قرب أريحا. وهذا يؤدي إلى استنتاج أن المنطقة المذكورة في القرآن باعتبارها المكان الذي هزم فيه الفرسُ البيزنطيينَ كانت على الأرجح في مكان ما بين أريحا والقدس،

---

(١) Ibid., p.506

(٢) انظر الحموي، ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان. مرجع سابق. ج٣، ص٣٥٤

وعلى الأرجح في مكان منخفض في منطقة غور الأردن لأنه الأقرب إلى بيت المقدس التي تعرضت للغزو، وهي أيضاً تعتبر أخفض منطقة على سطح الأرض، مما يجعلها مطابقةً للتعبير القرآني «أدنى الأرض» في كلا معنييه. بالإضافة إلى ذلك، فهو المكان الذي شهد الهزيمة النهائية للبيزنطيين من قبل الفرس قبل أن يتولوا السيطرة الكاملة على منطقة بيت المقدس بأسرها ، كما ورد في شهادة ستراتيجوس، شاهد العيان الوحيد الذي بقيت روايته حتى اليوم.

تواريخ الأحداث المذكورة في سورة الروم

إن مسألة الفترة الزمنية الفاصلة بين هزيمة البيزنطيين وانتصارهم كانت واحدة من أهم المحاور التي نوقشت في مصادر التفسير، لأن سورة الروم في اعتقاد المسلمين تعتبر واحدة من معجزات القرآن الكريم، كونها نبوءةً وكشفاً للأحداث في المستقبل.

يُلاحَظ أن معظم المفسرين الذين تحدثوا عن هذه السورة تعاملوا معها بوصفها مثالاً متكاملاً لنبوءةٍ قرآنيةٍ تحققت خلال حياة النبي محمد ﷺ، ورآها جميع الناس في جزيرة العرب[(١)]. وجوهر دراسة هذا المثال هو التعبير القرآني

---

(١) لا حاجة لتفصيل روايات المفسرين في هذا الأمر لأن أغلبهم يعطي نفس الرواية تقريباً. هناك رواية عند الترمذي تذكر قصة رهان حدث بين أبي بكر الصديق رضي الله عنه وبعض مشركي مكة، حيث راهنهم أبو بكر على أن الروم سيهزمون الفرس في ثلاث سنوات (وبعض الروايات تذكر خمسة)، إلا أن النبي ﷺ عندما علم بذلك سأل أبا بكر أن يمدد الفترة إلى ما دون عشر سنوات. وحسب الرواية كسب أبو بكر الرهان عندما هزم الروم الفرس في المدة الزمنية التي حددها القرآن الكريم. انظر الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي.مرجع سابق، ج٢، ص٨١٥-٨١٦. وهذه الرواية صحيحة كما ينص الألباني (انظر الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح السيرة النبوية. عمان: المكتبة الإسلامية، ٢٠٠٠، ٢٣٢)، وهي موجودة في أغلب كتب التفسير عند الحديث عن هذه الآيات كابن كثير (انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق. ج٣، ص٥٦١-٥٦٢) =

«في بضع سنين»، والكلمة الرئيسية في هذا التعبير هي كلمة «بضع» وهي ما ستتم دراسته تالياً.

يقول الفيروز آبادي (توفي ٨١٧هـ/ ١٤١٤م)[١] إن «البضع» هو ما بين العشرات. أي أنه ما كان بين ٢ إلى أقل من ١٠، وحتى ٩.٩٩ يمكن أن يطلق عليه «بضع». ويتفق ابن منظور[٢] مع الفيروز آبادي ويذكر عدة آراء لعدد من العلماء توافقه أيضاً، ولكنه ذكر أيضاً رأياً آخر دون تسمية قائله، مراده أن «بضع» هو ما بين الثلاثة والتسعة أي ٣-٩ فقط دون ذكر الكسور بين ٩ و١٠. وهذا الرأي كما يبدو رأيٌ وحيدٌ ضعيف، ونستطيع الحكم على ذلك من الطريقة التي ذكر بها ابن منظور هذا الرأي؛ حيث يقول: (وقيل إن «البضع» هو بين الثلاث والتسع)[٣]، حيث أورده كما هو واضح على صيغة التضعيف «قيل»، وهذا يدل على أنه رأي واحد ضعيف. كما أن هناك أحاديث أوردها الترمذي تعزز رأي الفيروز آبادي[٤]. وعليه فإن الأرجح أن القرآن أشار إلى أن البيزنطيين سيهزمون الفرس في فترة تقل عن عشر سنوات.

= والطبري (انظر الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٠، ص١٦٣-١٦٦) والقرطبي (انظر القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. مرجع سابق. ج١٤، ص٣-٥). لكن بعض الروايات تذكر أن المدة كانت تسع سنوات، لكن كما يبدو من تصحيح الألباني لرواية «دون العشر» يمكن القول إن هذه الرواية أدق من رواية «تسع سنوات».

(١) الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١، ج٣، ص١٠

(٢) ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. مرجع سابق. ج١، ص٤٢٦-٤٢٧

(٣) المرجع السابق ص٤٢٦

(٤) ربما يكون الرأي الذي نقله ابن منظور -والقائل إن البضع بين ثلاثة وتسعة- قد اعتمد على رواية للترمذي، يقول فيها النبي ﷺ لأبي بكر بعد رهانه مع مشكري قريش «ألا احتطت يا أبا بكر، فإن البضع ما بين الثلاث إلى التسع» (الترمذي، محمد ابن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٢، ص٨١٥)، =

وفقاً لثيوفانيس[١] وكتاب قصص الفصح[٢]، غزا الفرس بيت المقدس عام ٦١٤م. وقد حدد كتاب قصص الفصح أن الغزو وقع في شهر حزيران/ يونيو[٣]. وقد برر مانجو وسكوت تحديد هذا الشهر بالذات في كتاب قصص الفصح بأن الشهر المذكور هو الوقت الذي وصلت فيه الأخبار إلى القسطنطينية[٤]. لكن ستراتيجوس -وهو شاهد العيان الوحيد هنا- يذكر مدة الحصار الفارسي للمدينة وتاريخ سقوط المدينة بالتفصيل، حيث يقول:

بدأ الصراع بين الفرس ونصارى القدس في الخامس عشر من أبريل، في الـ indiction [٥] الثانية، في السنة الرابعة من تولي الإمبراطور هرقل.

= لكن هذه الرواية ضعيفة كما نص الألباني (الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيء في الأمة. الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠، ج٧، ص٣٦٣- ٣٦٦). وهناك رواية أخرى ذكرها الترمذي نفسه تقول: «فجعل أجل خمس سنين فلم يظهروا فذكروا ذلك للنبي ﷺ فقال: ألا جعلته إلى دون قال: أراه العشر. قال سعيد: والبضع ما دون العشر» (الترمذي، محمد ابن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٢، ص٨١٥-٨١٦)، وهذه الرواية أقوى من الرواية الأولى، وصححها الألباني (الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٣، ص٢٩٩-٣٠٠)، وهذا يجعل رأي الفيروزآبادي أقوى من الرأي الذي ذكره ابن منظور.

(١) Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p.431

(٢) Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD*. Ibid., p.156

(٣) Ibid., p.156

(٤) *Theophanes the Confessor. The Chronicle of Theophanes confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813. Ibid., p.431*

(٥) هذا التعبير «indiction» يشير إلى دورة من ١٥ عاماً، استعمل في الوثائق.

أمضوا عشرين يوما في المقاومة. وأطلق الفرس منجنيقهم بعنف شديد أدى إلى تمكنهم من اقتحام سور المدينة في اليوم الحادي والعشرين[1].

هذا يعني أن سقوط المدينة كان يوم السادس من أيار/ مايو عام ٦١٤م. وهذا يعادل في التقويم الهجري ١٨رجب ٩ق.هـ (أي السنة الخامسة للبعثة). يذكر ستراتيجوس أن الاشتباك النهائي الذي شهد انهيار القوات البيزنطية في أرض بيت المقدس جرى قبيل حصار مدينة القدس المسوَّرة، أي في حوالي الخامس عشر من نيسان/ أبريل عام٦١٤م (٢٧ جمادى الآخرة ٩ق.هـ). ومن الواضح أن هذا كان في فترة مبكرة جداً في المرحلة الثانية من الدعوة الإسلامية، أي في بدايات مرحلة الدعوة الجهرية.

نجد في العديد من مراجع السيرة النبوية مثل سيرة ابن هشام (توفي ٢١٨هـ/ ٨٣٣م)[2] أن الدعوة الجهرية بدأت بعد ثلاث سنوات من الدعوة السرية في مكة المكرمة. وهذا يؤكد قصة سبب نزول سورة الروم التي وردت في مصادر التفسير، وخاصة فيما يتعلق بالرهان بين أبي بكر وبعض المشركين في مكة المكرمة. فليس من المنطقي القول إن هذه القصة وقعت في بداية نبوة محمد ﷺ عندما كانت الدعوة سرية. وعلاوة على ذلك، فإن هذا يكشف عن اهتمام مبكر بهذه المنطقة من قبل القرآن الكريم، وبالتالي من قبل النبي محمد ﷺ كما سيأتي لاحقاً.

ومن أجل التأكد من أن بيت المقدس هي المنطقة المقصودة في الآيات الواردة في سورة الروم، ينبغي تحقيق تاريخ الأحداث الأخرى الواردة في الآيات، أي تاريخ انتصار البيزنطيين على الفرس. حيث يشير القرآن الكريم إلى أن هذا النصر سيحدث في أقل من ١٠ سنوات كما ذُكر في وقت سابق عند الحديث عن معنى «بضع».

---

(١) Conybear, Frederick C. «Antiochus Strategos' Account of the Sack of Jerusalem in A.D. 614.». Ibid., p.506

(٢) ابن هشام، عبدالملك. السيرة النبوية. تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد. القاهرة: دارة الطلائع، ٢٠٠٥، ج١، ص١٨٤

استعاد البيزنطيُّون بيت المقدس ما بين العام ٦٢٦ و ٦٢٧م[1]. [2] أي ما بين ١٢ إلى ١٣ سنةً بعد الاحتلال الفارسي للمنطقة. وهنا ينبغي ملاحظة أن

---

(١) Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p.457. وكذلك Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD*. Ibid., p.168-169

(٢) يقول ويلكنسون إن البيزنطيين استعادوا مدينة القدس عام ٦٢٨م (انظر Wilkinson, John. «Jerusalem under Rome and Byzantium 63 Bc – 637 AD.» *Jerusalem in History*. ed. K. J. Asali. New York: Olive Branch Press, 1990, p.102). أما ستراتيجوس فلا يحدد الوقت بين الغزو الفارسي واستعادة البيزنطيين المدينة والمنطقة، لكنه يذكر بعض الأحداث التي حصلت في حوالي السنة الخامسة عشرة للغزو الفارسي للمدينة، ويذكر أن الإمبراطور البيزنطي هرقل دخل المدينة في السنة السابعة عشرة للغزو الفارسي. وهذا يعني أن بدء التحرك باتجاه استعادة مدينة القدس حصل عام ٦٢٩م، وأن هرقل دخلها مجدداً عام ٦٣١م بعد اتفاقية سلام مع الفرس. ويذكر ثيوفانيس أيضاً هذه الاتفاقية ويبين أنها حدثت بين عامي ٦٢٦ و٦٢٧م باعتبار ذلك هو الوقت الذي «سمح فيه للفرس الموجودين في الرها وفلسطين والقدس ومدن رومانية أخرى باختراق الأراضي الرومانية دون أذى» خلال مغادرتهم عائدين إلى أراضيهم في بلاد فارس كما يقول ثيوفانيس. أما كتاب قصص الفصح فيتكلم أيضاً عن هذه الاتفاقية دون أن يذكر القدس صراحةً، ولكن هذا الكتاب يحدد أن السنة كانت ٦٢٦م. ويبدو أن رواية ستراتيجوس بخصوص استعادة البيزنطيين للقدس لم تكن بمستوى دقة روايته حول الاحتلال الفارسي للمنطقة، وذلك لأنه كان داخل المدينة عندما احتلها الفرس، أما عند استعادة البيزنطيين لها بنص الاتفاقية مع الفرس فكان غائباً عن المشهد. أما كتاب قصص الفصح فكتب في القسطنطينية أي في قلب الإمبراطورية البيزنطية حيث كان هرقل يقوم بترتيب اتفاقية السلام. أما ثيوفانيس فيعتمد على عدة مصادر في كتابة الأحداث، وهذا يدل على أن عدة مصادر تاريخية اتفقت على أن اتفاقية السلام حدثت عام ٦٢٦ أو٦٢٧م.

يبدو أن ويلكنسون خلط بين احتلال البيزنطيين للمنطقة وزيارة الإمبراطور هرقل لمدينة القدس، والتي حدثت عام ٦٢٨م =

النص القرآني ذكر المكان عند ذكر الهزيمة البيزنطية ولم يذكره عند ذكر النصر، وبالتالي فإن القرآن لم يقصد بهزيمة الفرس على يد البيزنطيين استعادةَ بيت المقدس بالضرورة، بل كان الحدث والموقع (أدنى الأرض) لا الزمن هو المهم في المرة الأولى، أما في المرة الثانية فكان المهم هو الحدث والزمن (بضع سنين) لا الموقع.

معظم المفسرين وصفوا سورة الروم بأنها نبوءة تحققت خلال الفترة الزمنية التي حددها القرآن الكريم. وهذا يمكن أن نجده أيضاً في كتب السيرة النبوية والحديث النبوي الشريف كما ذكرنا سابقاً. وهذا يعني أن علماء المسلمين عموماً كان لديهم فهم محدد للنبوءة الواردة في هذه الآيات، وهو ما دفعهم إلى الاعتقاد بأنها حدثت بالفعل خلال فترة أقل من ١٠ سنين.

إن الادعاء بأن نصر البيزنطيين الذي ذكر في الآيات كان يعني استعادة بيت المقدس ليس ادعاءً دقيقاً. فالبيزنطيون استعادوا السيطرة على بيت المقدس في فترة أطول من فترة «البضع» المحددة في القرآن. وبالتالي يفترض أن يكون لهذا النصر معنىً آخر، أو أن يكون النصر في مكان آخر غير بيت المقدس.

عند دراسة تاريخ الفترة الواقعة بين ٦١٠ و٦٢٧م، يمكن تقسيم تاريخ الحرب بين البيزنطيين والفرس في ذلك الوقت إلى ثلاث مراحل رئيسية؛ الأولى: سقوط بيت المقدس بيد الفرس عام ٦١٤م الذي مثّل آخِر الهزائم التي منيت بها الإمبراطورية البيزنطية وأكبرها نظرا للمكانة الروحية لبيت المقدس لدى المسيحيين ولدى الإمبراطورية البيزنطية[1]. الثانية:

= (انظر Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p.458) (انظر Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD*. Ibid., p.182-188)، حيث مثل ذلك تتويجاً لانتصار البيزنطيين.

(١) يبدو من دراسة السيرة العامة وأعمال هرقل في المصادر التاريخية المختلفة -وخاصة قصص الفصح في القسطنطينية- أن هرقل كان يعتبر عموماً رجلاً متديناً. ويذكر كتاب قصص الفصح ذلك بوضوح عندما يصفه بالقول: «إمبراطورنا الأتقى» =

المعركة الأولى التي انتصر فيها البيزنطيون على الفرس منذ سقوط القدس، فكان ذلك أول انتصار للبيزنطيين على الفرس. الثالثة: استعادة بيت المقدس من قبل البيزنطيين عام ٦٢٦م، وهو الأمر الذي مثل اكتمال انتصاراتهم وتكليلها.

قام نورمان بينيس (توفي ١٩٦١م)[١] بإعداد بحث شامل حول الحملة الأولى لهرقل ضد الفرس، وقارن الروايات التاريخية المختلفة بشأن هذه القضية، مثل تلك الواردة لدى ثيوفانيس وقصص الفصح وغيرها من المصادر اليونانية. وخلص في بحثه إلى أن أول انتصار لهرقل على الفرس كان في معركة وقعت في السابع من شباط/ فبراير عام٦٢٣م[٢] (٢٨ رجب١هـ).

= Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD.* Ibid., p.182). كما أن فيليب حتي يرى أن هرقل كان يعتبر مجدد النصرانية ومعيد الصليب إلى القدس، وذلك عندما استعاد السيطرة على المنطقة، وبنى كنيسة القيامة وأعاد الصليب المقدس إلى القدس (انظر Hitti, Philip K. *History of Syria Including Lebanon and Palestine*. London: Macmillan Co. Ltd, 1951, p.409). وهذا ما يبدو كذلك من مصادر أخرى كما تذكر نادية الشيخ (El Cheikh, Nadia Maria. «Surat al-Rum: A Study of the Exegetical Literature.» *Journal of the American Oriental Society*. Ibid., p.7).

(١) Banyes, Norman H. «The First Campaign of Heraclius against Persia.» *The English Historical Review*. 19 (76) (1904): 701

(٢) إن بينيس لا يذكر هذا التاريخ بالتحديد، ولكنه يقول إنه بالنظر إلى المصادر التاريخية، فإن المعركة التي حقق فيها هرقل أول نصر على الفرس حدثت بعد ١٥ يوماً من خسوف القمر الذي حدث يوم ٢٣ كانون الأول/ يناير ٦٢٣م. ويمكن الاتفاق مع هذا الرأي بالرغم من أن ثيوفانيس ذكر أن المعركة حدثت بين عامي ٦٢١ و٦٢٢م، لا في سنة ٦٢٣م، ولا يحدد تاريخ هذه المعركة.

ولكن قول ثيوفانيس غير صحيح إذ إنه يناقض كثيراً من المصادر التي حققها ويتبي محقق كتاب قصص الفصح وذكرها في الملحق الرابع من الكتاب، حيث يدرس ويتبي هذا الأمر بالتفصيل ويصل إلى نتيجة أن ثيوفانيس كان يخلط بعض التواريخ في هذه الفترة بالذات وبالتالي فمن الأرجح أنه خلط التاريخ هنا (انظر Whitby, Michael and Mary (ed). *Chronicon Paschale 284-628 AD*. Ibid., p.203-205).

وكان هذا أول انتصار كبير للبيزنطيين على الفرس منذ آخر وأكبر هزائمهم عند سقوط القدس بيد الفرس، وكان قد سبقه العديد من الترتيبات والخطوات التي اتخذتها هرقل على مدار العام ٦٢٢م[١].

إلا أنه بعد دراسة الأمر يمكن القول إنه من الأرجح أن هذه المعركة وقعت سنة ٦٢٤م، وليس سنة ٦٢٣م؛ حيث بنى بينيس حجته على حقيقة أن المصادر التاريخية تذكر أن هذه المعركة وقعت بعد ١٥ يوماً من خسوف القمر في المنطقة التي وقعت فيها المعركة،وقد وقعت هذه المعركة في منطقة أرمينيا كما يوضح ثيوفانيس[٢]. ووفقاً للمصادر التاريخية التي درسها بينيس، فإن خسوف القمر وقع يوم ١٥كانون الثاني/ ينايرعام٦٢٣م. لكن وفقا لحسابات وكالة الفضاء الأمريكية (ناسا)، لم يكن هناك خسوف للقمر بين ٢٨ تموز/ يوليو عام ٦٢٢م و١٧ تموز/ يوليو عام ٦٢٣م[٣] في تلك المنطقة، فأقرب خسوفين للقمر وقعا في تلك المنطقة كانا في ١ شباط/ فبراير عام ٦٢٢م و ١١ كانون الثاني/ يناير عام ٦٢٤م.

---

(١) من الملاحظ أن كتاب قصص الفصح لا يصف هذه الأحداث بالتفصيل كما يفعل ثيوفانيس، ولعل السبب في ذلك كون لجنة تأليف هذا الكتاب كانت موجودة في القسطنطينية ومهتمة بالدرجة الأولى بأخبار البلاط البيزنطي والعائلة المالكة، كما أنهم كما يبدو لم يكن لديهم الصورة الكاملة للأحداث حيث انتهى تأليف الكتاب عام ٦٢٨م. وهذا يعني أن مؤلفي هذا الكتاب كانوا يكتبون الأحداث أولاً بأول بالرغم من كونها بعيدة جداً عنهم عموماً، ولعل هذا ما أثر على وصفهم. أما ثيوفانيس فقد كتب كتابه بعد أقل من قرنين من هذه الأحداث مستعيناً بمصادر مختلفة عايشت الأحداث، مما يبرر كثرة سرده للتفاصيل وتحليل هذه لأحداث.

(٢) Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p.436-437

(٣) يمكن قراءة جميع تواريخ وأوقات وأنواع خسوف القمر في القرن السابع الميلادي على موقع وكالة الفضاء الأمريكية ناسا، انظر ‘*NASA Javascript Lunar Eclipse Explorer for Asia*’, تاريخ المشاهدة: ١٣/ ٨/ ٢٠٠٨، http://eclipse.gsfc.nasa.gov/JLEX/JLEX-AS.html

وعليه فإن الموعد الأرجح لكسوف القمر التي درسه بينيس كان على الأرجح في ١١ كانون الثاني/ يناير ٦٢٤م (١٢رجب ٢هـ)[١]. وهذا يعني أن المعركة وقعت غالباً في ٢٦ كانون الثاني/ يناير ٦٢٤م (٢٧رجب ٢هـ). أما فيما يتعلق بمكان هذه المعركة، أي أرمينيا (وهي بعيدة جداً عن شبه الجزيرة العربية إلى الشمال الشرقي من الشام) فقد يرى البعض أن هذا لا يمكن اعتباره النصر الأكبر للبيزنطيين لأنه حدث بعيداً عن الأراضي العربية وبعيداً عن بيت المقدس على وجه الخصوص. ولكن لنتمكن من اكتشاف ما إذا كان هذا الحدث هو الذي قصده القرآن الكريم، فعلينا تتبع الروايات التاريخية الإسلامية في ذلك الوقت لهذا الانتصار ومناقشتها.

ذكر العديد من علماء المسلمين روايات مهمة فيما يتعلق بتوقيت انتصار البيزنطيين؛ والكثير منهم مثل القرطبي[٢] والطبري[٣]، ذكروا روايتين رئيسيتين: واحدة تنص على أن انتصار البيزنطيين وقع في نفس وقت غزوة بدر في السنة ٢هـ/ ٦٢٤م. والآخر يذكر أن هذا الانتصار وقع بعد صلح الحديبية الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين في مكة المكرمة في سنة ٦هـ/ ٦٢٨م.

ذكر الترمذي روايتين لحديث يدل على تحديد يوم بدر، أي يوم١٧ رمضان ٢هـ/ ١٥ آذار/ مارس ٦٢٤م، باعتباره اليوم الذي هزم البيزنطيون فيه الفرس[٤].

---

(١) من غير المرجح أن الخسوف الأقرب إلى المعركة بين الفرس والبيزنطيين قد حدث في شباط/ فبراير ٦٢٢م، وذلك لأنه سيكون قد حدث في هذه الحالة قبل هجرة النبي محمد ﷺ إلى المدينة، مما يناقض المصادر التاريخية الإسلامية التي بينت مدى ضخامة الاهتمام العربي بهذه المعركة في ذلك الوقت. وليس هناك مصدر تاريخي عربي واحد يذكر أن هذا الحدث كان قبل الهجرة النبوية إلى المدينة، بل اتفقت جميع تلك المصادر على أن الحدث كان بعد الهجرة.

(٢) القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. مرجع سابق. ج١٤، ص٥

(٣) الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. مرجع سابق. ج١٠، ص١٦٣

(٤) الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٢، ص٨١٥-٨١٦

وهاتان الروايتان هما اللتان اعتمد عليهما معظم العلماء في ترجيح بدر. ومن الجدير بالذكر أنه لا توجد أي روايات ذكرت الحديبية موعداً لهذا النصر.

وعند الحديث عن هذا الحدث، فإن الترمذي يروي ويستشهد بثلاث روايات، ووفقا لرأي الألباني[1] فإن واحدة منها فقط تعتبر صحيحة، وهذه الرواية لا تأتي على ذكر بدر ولا حتى في الفترة الفاصلة بين هزيمة وانتصار البيزنطيين[2]. وهناك روايتان عَدَّهما الألباني من الحديث الحسن، تحدد واحدة منهما يوم بدر يوماً لانتصار البيزنطيين. ويحاجج الألباني[3] بأن هذا الحديث يمكن اعتباره صحيحاً لغيره (أي أنه رفع من مرتبة الحسن إلى الصحيح لتعاضده بروايات أخرى أكثر صحة). إلا أن هذه الرواية في الواقع ليست من الحديث الحسن بل هي ضعيفة[4]. والرواية الأخرى تذكر أن انتصار البيزنطيين وقع في السنة السابعة بعد هزيمة البيزنطيين، أي في السنة ٢ ق.هـ/ ٦٢٠-٦٢١م. وتعتبر هذه الرواية من الحديث الحسن وفقاً للترمذي نفسه والألباني[5]. ولكن اعتبار الانتصار حصل بعد ٧ سنوات فقط من الهزيمة - أي في عام ٢ ق.هـ/ ٦٢١م غير صحيح، حيث لا توجد سجلات أي معارك أو حملات شنها البيزنطيون ضد الفرس في تلك الفترة.

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن الترمذي. مرجع سابق. ج٣، ص٢٩٩-٣٠٠

(٢) في نهاية الرواية، يضيف الترمذي تعليقاً على لسان واحد من الرواة هو سفيان الذي يقول: «سمعت أنهم (أي الروم) هزموهم (أي الفرس) في يوم بدر»، هذه الرواية ليست جزءاً من نص الحديث المرفوع وإنما مجرد تعليق من أحد الرواة، والذي لم يذكر مصدراً لتعليقه، مما يضعف هذا الخبر من الراوي.

(٣) المرجع السابق ص ٢٩٩

(٤) انظر التفصيل في الحاشية رقم ٢٨ من هذه الدراسة.

(٥) المرجع السابق ص٣٠٠-٣٠١

إن اعتماد الرواية من الحديث الحسن يعني أن هناك فرصة أكبر لوجود أخطاء في متنها، وحيث أن هذه الرواية غير مدعومة بالأحداث التاريخية، فإنه يمكن القول بأن الرقم ٧ (أي السنة السابعة بعد هزيمة البيزنطيين) في هذه الرواية هو على الأرجح وهمٌ من واحد أو أكثر من الرواة في السند.

أما فيما يتعلق بالرأي الآخر، وهو أن نصر البيزنطيين حدث بالتزامن مع صلح الحديبية، فإن القائلين بهذا يحتجون بقصة رسالة النبي محمد ﷺ إلى هرقل، والتي وجهها له بعد الحديبية حينما كان هرقل في إيلياء[١]. ومن الواضح أن هذا الرأي يخلط انتصار البيزنطيين مع الزيارة التي قام بها هرقل إلى بيت المقدس بعد استعادة البيزنطيين للمنطقة، أو أن من ذكر هذا الرأي اعتمد على استعادة بيت المقدس على أيدي البيزنطيين متجاهلاً توقيت الاحتلال الفارسي لها قبل سنوات.

للتأكُّد من هذا الرأي نقول إنه إذا تم عد السنوات عداً عكسياً حسب الفترة المذكورة في القرآن (أي أقل من ١٠ سنوات) ابتداءً من وقت الزيارة التي قام بها هرقل إلى بيت المقدس، فسنجد أن هزيمة البيزنطيين يجب أن تتم وفقاً لهذا الحساب على الأكثر في السنة ٥ق.هـ/ ٦١٧-٦١٨م. إلا أن هذا أمر غير مقبول لأن بيت المقدس والمنطقة بأسرها كانت في ذلك الوقت واقعةً بالفعل تحت الحكم الفارسي منذ سنة ٦١٤م.

يمكن للمرء أن يدعي أن هزيمة البيزنطيين المذكورة في القرآن قد حدثت بين عامي ٦١٧ و٦١٨م في مكان آخر غير بيت المقدس (كما يوحي هذا العد العكسي). ولكن هذا أيضا غير مقبول، لأن كلاً من ثيوفانيس وكتاب قصص الفصح يذكران الأحداث التي وقعت في هذين العامين بالتفصيل،

(١) انظر ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق. ج٣، ص٥٦٥

أي ٦١٧-٦١٨ م ، ولا توجد فيها معارك كبرى بين البيزنطيين والفرس حول بيت المقدس أو الشام أو أي منطقة أخرى. ذلك أن البيزنطيين كانوا مشغولين في ذلك الوقت بمحاربة الآفاريين[١] في أوروبا الشرقية[٢].

هذا يدل على أن نصر البيزنطيين المذكور في القرآن لم يكن متمثلاً بإعادة الاستيلاء على بيت المقدس -الذي حدث قريباً من وقت معاهدة الحديبية عام ٦٢٦م- وإنما كان نصراً آخرَ كبيراً مَثَّل بداية انتصار البيزنطيين على الفرس، والذي تُوِّج بإعادة الاستيلاء على بيت المقدس.

هذا يعيدنا مرة أخرى إلى الحدث الذي وقع على الأرجح سنة٦٢٤م ، والذي مثَّل أول انتصار بيزنطي على الفرس. هذه المعركة-كما ذكرنا سابقاً- وقعت على الأرجح يوم٢٦ كانون الثاني/ يناير ٦٢٤م (٢٧رجب ٢هـ). وكانت المعركة النهائية التي مثَّلت انهيار البيزنطيين قد وقعت بالقرب من أريحا -كما وضحنا سابقاً- في أو قبيل ١٥ نيسان/ أبريل ٦١٤م (٢٧ جمادى الآخرة ٩ق.هـ). والفترة بين هاتين الحادثين في التقويم الشمسي تبلغ حوالي ٩ سنوات و ٩ أشهر تقريباً، بينما في التقويم القمري تبلغ الفترة ١٠ أعوام وشهراً تقريباً. وهنا تجدر الإشارة إلى أن القرآن استخدم لفظ «سنين» ولم يستخدم لفظ «أعوام» في هذه الآيات. وعند الرجوع إلى معنى كل كلمة نجد أنهما مترادفتان، ولكن القرآن في بعض الآيات يستخدم «سنين» وفي آيات أخرى يستخدم «أعوام»،

---

(١) الآفاريون شعب غير محدد الأصل واللغة، ولعب هذا الشعب دوراً مهماً في أوروبا الشرقية بين القرنين السادس والتاسع الميلاديين، حيث كونوا إمبراطوريةً كبيرةً بين البحر الأدرياتيكي وبحر البلطيق، وبين نهري إلب ودينبر بين القرنين السادس والثامن الميلادي. انظر McHenry, Robert (ed). *The New Encyclopaedia Britannica*. Chicago: Encyclopaedia Britannica Inc., 1993, part1, p.734

(٢) انظر Theophanes the Confessor. *The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813*. Ibid., p.433-434

وبعد دراسةٍ وافيةٍ لاستخدام المصطلحات في القرآن الكريم ، يمكن أن نستنتج أن القرآن يستخدم في العادة لفظ «سنة» للإشارة إلى السنة الشمسية التي يستعملها غير العرب، ويستخدم لفظ «عام» للدلالة على التقويم القمري العربي[١].

(١) تمت دراسة جميع الآيات القرآنية التي تذكر التعبيرين: عام وسنة. (انظر عبدالباقي، محمد فؤاد. ١٩٩٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦م، ص٤٥١ وص٦٠٧). من المهم ملاحظة أن القرآن الكريم استخدم الألفاظ «عام، عاماً، عامهم، عامين» تسع مرات فقط. وآخر مرة منها كانت في سورة لقمان التي تلي سورة الروم مباشرة. أما لفظا «سنة، سنين» فقد استعملت في القرآن الكريم تسع عشرة مرة كان آخرها في سورة الروم.
عند تحليل النصوص القرآنية التي ذكرت «عام» و«سنة» وتوابعها، يلاحظ أن القرآن الكريم في العادة يستعمل لفظ «عام» وما تبعه عند الإشارة إلى الأعوام المرتبطة مباشرة بالعرب أو بجزيرة العرب، وذلك مثل الحديث عن أوقات الحج. ويستعمل القرآن الكريم في العادة لفظ «سنة» وما تبعه عند الإشارة إلى سنوات غير العرب. واستثني من ذلك حالة واحدة هي قصة العزير (البقرة: ٢٥٩) حيث يستعمل القرآن الكريم لفظ «عام» للدلالة على رجل يرجح أنه من بني إسرائيل أي ليس عربياً. وهناك ثلاث حالات جمع فيها القرآن الكريم اللفظين معاً، الحالة الأولى في قصة نوح عليه السلام ، حيث يستعمل القرآن الكريم اللفظين معاً عند الحديث عن مدى لبث نوح عليه السلام، وهو من قوم يعتبرون من العرب البائدة حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ [العنكبوت:١٤]. والحالة الثانية قصة يوسف عليه السلام في تفسير رؤيا الملك عندما يذكر السنين ثم يتبعها بلفظ العام (يوسف: ٤٧-٤٩) ويوسف من بني إسرائيل وهو ليس من العرب، والحالة الثالثة قصة أصحاب الكهف التي جمع فيها القرآن الكريم اللفظين بشكل ملفت للنظر في قوله تعالى: ﴿ وَلَبِثُواْ فِي كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ [الكهف:٢٥].
من الملاحظ عبر الدراسة والاستقراء أن كل ٣٠٠ سنة شمسية تساوي تقريباً ٣٠٩ عاماً قمرياً. وهذا يفسر سبب استعمال القرآن الكريم للفظ «سنين» في سورة الروم، حيث من الملاحظ أن القرآن الكريم لم يذكر إطلاقاً لفظ «سنة» أو توابعها للدلالة على العام القمري العربي الذي كان معروفاً بين العرب في زمن نزول القرآن الكريم وإنما للدلالة على السنوات الشمسية التي كانت تستعمل عند غير العرب.

هذا يعني أن القرآن كان على الأرجح يشير إلى السنوات الشمسية في احتساب الوقت الفاصل بين هزيمة ونصر البيزنطيين. وهذا في الواقع يطابق الوصف القرآني للفترة بين هزيمة وانتصار البيزنطيين عندما استخدم «في بضع سنسن»، أي أقل من ١٠ سنوات شمسية. وبهذا يمكن أن نرجح أن هذا النصر كان قرب وقت غزوة بدر التي وقعت بعد حوالي ٥٠ يوماً من معركة بين الفرس والبيزنطيين[١].

علاوة على ذلك، تجدر الإشارة إلى أن القرآن وصف هزيمة البيزنطيين بـ« غُلِبَتْ» وليس «هُزِمَتْ»، ذلك أن هذه الأخيرة قد تشير إلى الهزيمة الكاملة والنهائية، ولكن التعبير القرآني قصد كما يبدو الهزيمة المؤقت التي ستتبعها انتصارات أخرى. إضافة إلى ذلك وصف القرآن انتصار البيزنطيين بـ«سَيَغْلِبُون» وليس «سَيَنْتَصِرون»، وهذه الأخيرة هي الكلمة التي تدل في العادة على النصر النهائي، في حين أن التعبير الأول «سيغلبون» يعني نصراً مؤقتاً وليس نصراً نهائياً دائماً[٢]. ولذلك يبدو أن هذه السورة من القرآن حددت بداية الحدث الكبير؛ أي هزيمة البيزنطيين، ونهاية الحدث؛أي انتصار البيزنطيين فيما بعد، وحددت كذلك تأثير وأهمية هذا الحدث بالنسبة للنبي محمد ﷺ في المستقبل. لقد كان القرآن الكريم دقيقاً جداً في تفصيل مسألة فقدان البيزنطيين ومن ثم استعادتهم لبيت المقدس، وهذا يثير التساؤل: لماذا كان هذا التفصيل الدقيق؟

---

(١) ويقبل القول هنا إن الأخبار احتاجت هذا الوقت لتصل إلى جزيرة العرب، حيث أن المسافة من الشام إلى جزيرة العرب كانت تعد مسيرة شهر تقريباً، وبالتالي فهي لأرمينيا أطول.

(٢) يمكن فهم هذا الاختلاف بين الألفاظ «غَلَب» و«انتصر» من جهة، و«غُلِب» و«هُزِم» من جهة أخرى، وذلك بالنظر إلى معانيها المختلفة في معاجم اللغة العربي. (انظر ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. مرجع سابق. ج١٠، ص٩٧-٩٨، وج١٤، ص١٦٠-١٦١، وج١٥، ص٩٠-٩٢)

إن التفاصيل الكثيرة التي ذكرت حول حكم البيزنطيين لبيت المقدس وفقدانها ثم استعادتها تظهر واحداً من أمرين: إما اهتمام مبكر بهذه المنطقة من قبل النبي محمد ﷺ، أو أن هذه التفاصيل كانت بمثابة توجيه إلهي للنبي ﷺ.

إن دراسة اهتمام النبي محمد ﷺ بتلك المنطقة في هذه المرحلة المبكرة ينبغي أن لا يتم فصله عن أثر القرآن في حياة النبي ﷺ وأفعاله. هذه الآيات التي علقت على هذه الأحداث التي وقعت في بيت المقدس في هذه المرحلة المبكرة من الدعوة الإسلامية تبين أن القرآن أراد لفت انتباه النبي محمد ﷺ والمسلمين إلى تلك المنطقة. والسبب في ذلك هو بحد ذاته قضية ينبغي دراستها وتوضيحها.

إن اهتمام القرآن بذكر الاستيلاء على بيت المقدس من قبل الفرس، ثم انتصار البيزنطيين، يبين أنه قد تكون لهذه الأحداث علاقة بالفتح الإسلامي لبيت المقدس. وبالعودة إلى التواريخ والفترات في هذه الآيات، فقد خلصنا إلى أن الفرس استولوا على بيت المقدس عام ٦١٤م ، وكان أول انتصار للبيزنطيين بعد هزيمتهم على الفرس في أقل من ١٠ سنوات عام٦٢٤م. ثم استعاد البيزنطيون المدينة المسورة نهائياً في ٦٢٦ أو ٦٢٧م كما نوقش في وقت سابق. وهذا يعني أن الفترة الزمنية الفاصلة بين فقدان مدينة القدس واستعادة البيزنطيين لها كان نحو ١٣ سنةً.

من ناحية أخرى، وفقاً لدراسة عثمان الطل[١] بدأ الفتح الإسلامي للمنطقة في الفترة من ١٣هـ/ ٦٣٤م، واستولوا على المدينة المسورة عام ١٦هـ/ ٦٣٧م، وهو ما يعني أن هذا وقع بعد حوالي ١٣ سنةً من أول انتصار للبيزنطيين على الفرس، أي من وقت تحقق النبوءة القرآنية. ويبين هذا بعداً آخر لتفسير التعبير

(١) Al-Tel, Othman Ismael. *The First Islamic Conquest of Aelia (Islamic Jerusalem), a Critical Analytical Study of the Early Islamic Historical Narratives and Sources*. Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press, 2003, p.283

القرآني في سورة الروم: «ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله». فهذه الآيات أعطت المسلمين الأمل في أن يصلوا إلى تلك المنطقة وينتصروا على البيزنطيين في نفس الفترة الزمنية التي استغرقها البيزنطيون لاستعادة المنطقة من الفرس. وهذا ما انعكس في تصريحات متباينة من قبل صحابة النبي محمد ﷺ، مثل ما رواه ابن كثير[1]:

العلاء بن الزبير الكلابي يحدث عن أبيه قال: رأيت غلبة فارس الروم، ثم رأيت غلبة الروم فارس، ثم رأيت غلبة المسلمين على الفرس والروم، كل ذلك في خمس عشرة سنة[2].

هذا يبين إلى أي مدى كان هذا الحدث المذكورة في سورة الروم مهماً وكبيراً. إن الأمل الذي أعطاه تعبير «يفرح المؤمنون بنصر الله» للمسلمين كان مهمًا جدًّا، خصوصاً أنهم كانوا في ذلك الوقت يعانون في بداية الدعوة الجهرية للإسلام.

---

(١) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. مرجع سابق. ج٣، ص٥٦٦

(٢) إن تعبير «كل ذلك في خمس عشرة سنة» على الأرجح استعمل هنا لتقريب لا للتحديد، حيث لم يقصد الزبير على الأرجح تحديد الأوقات. ولكنه يذكر هذه الأحداث خلال فترة قصيرة ليبين مدى تقارب هذه الأحداث مع بعضها لا ليحدد التوقيت بالضبط.

الخاتمة

نص القرآن الكريم في سورة الروم بوضوح على توقيت حدثٍ كان في غاية الأهمية وعلى علاقة وثيقة ببيت المقدس، وكان هذا الحدثُ هزيمةَ البيزنطيين أمام الفرس، والتي أسفرت عن وقوع بيت المقدس في يد الفرس. من ناحية أخرى، فإن القرآن أعطى وصفاً موجزاً لمكان هذه المعركة باعتباره في «أدنى الأرض»، وهي المنطقة بين أريحا ومدينة القدس المسورة. وكان تحديد الأرض التي شهدت هذا الحدث يدل على أهمية هذه المنطقة.

إن كون هذه السورة من أوائل السور التي نزلت على النبي محمد ﷺ - بعد انتهاء الدعوة السرية وبداية مرحلة الدعوة الجهرية- يعطي دليلاً واضحاً على الاهتمام المبكر للنبي محمد ﷺ بتلك المنطقة. وكان ذلك تحدياً لنبوته في وقت عصيب لم تكن فيه الغرائب (من قبيل النبوءات مثلاً) في مصلحته. وكانت هذه الآيات تدل على أن هناك عصراً جديداً على وشك البداية يمثل تغييراً ضخماً في المنطقة، وتمثل ذلك رمزياً في ما حدث في بيت المقدس. وحدث هذا التغيير في واقع الأمر عندما سقطت القوتان العالميتان الرئيستان لصالح القوة الجديدة التي ظهرت في الجزيرة العربية، وهذا بدأ من بيت المقدس، ذلك أن النص القرآني الأول الذي ألمح إلى هذا التغيير كان متصلاً ببيت المقدس، وهو ما أعطى هذه البقعة مكانتها التي تستحقها منذ تلك الحقبة المبكرة من تاريخ الإسلام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

المصادر والمراجع العربية

١. ابن الجزري، أبو الخير محمد بن محمد الدمشقي. النشر في القراءات العشر. تحقيق: علي محمد الضباع. بيروت: دار الكتب العلمية، د.ت

٢. ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد. زاد المسير في علم التفسير. بيروت: المكتب الإسلامي، ١٩٨٧، ط٤

٣. ابن عطية، عبد الحق بن غالب. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠١، ط١

٤. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل. تفسير القرآن العظيم. تحقيق: عبدالقادر الأرناؤوط، دمشق: مكتبة دار الفيحاء، ١٩٩٤، ط١

٥. ابن منظور، محمد بن مكرم. لسان العرب. تحقيق: أمين عبد الوهاب ومحمد العبيدي. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩٩، ط٣

٦. ابن هشام، عبد الملك. السيرة النبوية. تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. القاهرة: دارة الطلائع، ٢٠٠٥

٧. الألباني، محمد ناصر الدين. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة. الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠، ط١

٨. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح سنن الترمذي. الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٢، ط٢

٩. الألباني، محمد ناصر الدين. صحيح السيرة النبوية. عمان: المكتبة الإسلامية، ٢٠٠٠

١٠. الألوسي، أبو الفضل شهاب الدين محمود. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. تحقيق: علي عبدالباري البدوي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٤، ط١

١١. البقاعي، برهان الدين. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور. تحقيق: عبدالرزاق غالب المهدي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥

١٢. الترمذي، محمد بن عيسى بن سورة. سنن الترمذي. Vaduz: Thesaurus Islamicus Foundation، ٢٠٠٠

١٣. الحموي، ياقوت بن عبدالله. معجم البلدان. تحقيق: فريد الجندي. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠

١٤. الرازي، فخر الدين. التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠

١٥. الزحيلي، وهبة. تفسير الوسيط. دمشق: دار الفكر، ٢٠٠١، ط١

١٦. الزرقاني، محمد عبدالعظيم. مناهل العرفان في علوم القرآن. مكة: مكتبة نزار مصطفى الباز، ١٩٩٨، ط٢

١٧. الزمخشري، جارالله محمود بن عمر. تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقوال في وجوه التأويل. تحقيق: محمد شاهين. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٥، ط١
١٨. السيوطي، جلال الدين. الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الفكر، د.ت
١٩. السيوطي، جلال الدين. الدر المنثور في التفسير بالمأثور. بيروت: دار الكتب العلمية، ٢٠٠٠، ط١
٢٠. السيوطي، جلال الدين. لباب النقول في أسباب النزول. تحقيق: حمزة النشرتي وآخرون. القاهرة: المكتبة القيمة، د.ت
٢١. الشوكاني، محمد بن علي بن محمد. فتح القدير. بيروت: دار ابن حزم، ٢٠٠٠، ط١
٢٢. الطبري، محمد بن جرير. تفسير الطبري. بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٩، ط٣
٢٣. عبدالباقي، محمد فؤاد. ١٩٩٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. القاهرة: دار الحديث، ١٩٩٦م، ط١
٢٤. العلي، إبراهيم. صحيح السيرة النبوية. عمان: دار النفائس، ٢٠٠٢
٢٥. عمر، عبدالله معروف. بيت المقدس في استراتيجية النبي ﷺ. بيروت: الدار العربية للعلوم، ٢٠١٤
٢٦. الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب. القاموس المحيط. بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٩٩١، ط١
٢٧. القاسمي، محمد جمال الدين. تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل. تحقيق: أحمد بن علي وعلي حامد صبح. القاهرة: دار الحديث، ٢٠٠٣
٢٨. القرطبي، محمد بن أحمد الأنصاري. الجامع لأحكام القرآن. تحقيق: صادق محمد جميل. بيروت: دار الفكر، ١٩٩٨
٢٩. القطان، مناع. مباحث في علوم القرآن. الرياض: مكتبة المعارف، ٢٠٠٠، ط٣
٣٠. المراغي، أحمد مصطفى. تفسير المراغي. بيروت: دار الفكر، ١٩٧٤، ط٣
٣١. الواحدي، علي بن أحمد النيسابوري. أسباب النزول. القاهرة: مكتبة المتنبي، د.ت

المصادر والمراجع الأجنبية:

1. Al-Tel, Othman Ismael. The First Islamic Conquest of Aelia (Islamic Jerusalem), a Critical Analytical Study of the Early Islamic Historical Narratives and Sources. Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press, 2003
2. Avi-Yonah, Michael. The Holy Land A Historical Geaography from the Persian to the Arab Conquest 536 B.C. to A.D. 640. ed. Anson F. Rainey. Jerusalem: Carta, 2002
3. Avi-Yonah, Michael. The Jews of Palestine: A Political History from the Bar Kokhba War to the Arab Conquest. Oxford: Basel Blackwell, 1976

4. Banyes, Norman H. «The First Campaign of Heraclius against Persia.» The English Historical Review. 19 (76) (1904): 694-702
5. Bell, Richard. The Qur'an Translated, with a critical re-arrangement of the Surahs. EdinburghL T. & T. Clark, 1939
6. Conybear, Frederick C. «Antiochus Strategos' Account of the Sack of Jerusalem in A.D. 614.«»The English Historical Review. 25 (99) (1910): 502-516
7. El-Awaisi, Khalid. Mapping Islamicjerusalem, a Rediscovery of Geographical Boundaries. Dundee: Al-Maktoum Institute Academic Press, 2007
8. El Cheikh, Nadia Maria. «Surat al-Rum: A Study of the Exegetical Literature.» Journal of the American Oriental Society. 118 (3) (1998): 356-364
9. Elisséeff, F. Buhl-N. 'Adhri'āt', in Encyclopaedia of Islam ed. H. A. R. Gibb and others. Leiden: E. J. Brill, 1986
10. Hitti, Philip K. History of Syria Including Lebanon and Palestine. London: Macmillan Co. Ltd, 1951
11. McHenry, Robert (ed). The New Encyclopaedia Britannica. Chicago: Encyclopaedia Britannica Inc., 1993, 15th edition
12. Theophanes the Confessor. The Chronicle of Theophanes Confessor: Byzantine and Near Eastern History AD 284-813. ed. Cyril Mango and Roger Scott. New York: Oxford University Press Inc., 1997
13. Whitby, Michael and Mary (ed). Chronicon Paschale 284-628 AD. Liverpool: LiverpoolUniversity Press, 1989
14. Wilkinson, John. «Jerusalem under Rome and Byzantium 63 Bc – 637 AD.» Jerusalem in History. ed. K. J. Asali. New York: Olive Branch Press, 1990